العيش في زمان السندوتش
(مجموعة مقالات)
عبدالحفيظ العمري

العيش في زمان السندوتش

(مجموعة مقالات)

عبدالحفيظ العمري

الفهرس

المقدمة

١. من أين نبدأ؟
٢. مقام الحب
٣. الرسول ﷺ فى عيونهم
٤. وبُورك فى الشباب الطامحينا
٥. كيف تتعلم حب اليمن فى ٥ أيام بدون معلم؟
٦. إرادة الشعوب
٧. العيش فى زمان السندوتش
٨. إلى صديقى المختلف معى
٩. أنت فى اليمن
١٠. فلسفة السياق
١١. ماذا يخبئ لنا عام ٢٠١٤م؟
١٢. دنيا الفيسبوك
١٣. كنتُ فى مستشفى حكومى !
١٤. عندما يسود الملل
١٥. أهل حب لا أهل حرب
١٦. فى وداع عام ٢٠١٤م

١٧. أناس في حياتي
١٨. مجرد حلم
١٩. الأم الباقية
٢٠. أصداء الهجرة
٢١. ماذا يعني أن تكون مهمّشاً ؟
٢٢. نقوش من هذا العصر
٢٣. الإعلام والإعلاميون
٢٤. في ذكرى الإسراء والمعراج
٢٥. عندما نلعب الكرة !
٢٦. الإنسان والأديان
٢٧. ماذا وراء نهاية التاريخ؟
٢٨. ماذا عن اليوم العالمي للرجل؟
٢٩. التغيير والمجتمع
٣٠. رسالة إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣١. معاناة بلون البنفسج
٣٢. حقبة (لا ندري) !

السيرة الذاتية

المقدمة

ماذا يمكن أن نسمي هذا الزمان الذي نعيش فيه إلا زمان السندوتش !

أظن أنه الاسم المناسب له ، لما فيه من سرعة مثل سرعة أكل السندوتش..

فهذا عصر السرعة التي طغت فيه هذه السرعة على كل شيء في أكلنا وشربنا وطريقة حياتنا..

وانظر من حولك سترى سرعة إيقاع هذا العصر التي تدفعنا في عجالة متناهية !

هذا عصر طغت فيه الآلة الميكانيكية جاعلة منا (روبوتات) صارمة تعمل في آلية مفرطة مما يطغى على كل مشاعر إنسانية نتطلع إليها..

عصرنا يلهث يا سادة ونحن نلهث وراءه بما قدمت لنا التكنولوجيا من وسائل اللهث السريع بحيث تجعل منا أبطالا في كل مارثون يقام في هذا العصر ...

هذا المارثون أصبح صفة لازمة لكل شيء في حياتنا تقريبا ؛ في البيت والعمل والشارع ، في الصداقة والخصومة ، في الحب والكره ، وفي كل شيء نمارسه ..

فعن أبطال هذا المارثون الحياتي وعن أحوالهم كانت مقالات هذا الكتاب، التي كُتبت خلال السنوات الماضية ونشرت بشكل متفرق على صفحات (الجمهورية) الصادرة من تعز- اليمن، إلى جانب غيرها من المواقع الإلكترونية ..

عبدالحفيظ العمري

إب- اليمن

٢٣ يونيو ٢٠١٥م

من أين نبدأ؟

عندما نبدأ أو نشرع في أي موضوع يداهمنا هذا السؤال : من أين نبدأ ؟

ما هي نقطة الانطلاقة الأولى للشروع في أي موضوع ؟

كم يحتار كل كاتب قصة أو رواية – أو حتى مقال – في أول الكلمات التي ستصافح القارئ في عمله الأدبي، لأن الكاتب يريد أن يقتنص القارئ من أول وهلة، لذا يجب أن تكون البداية مشوقة ولافتة للنظر لكي يتابع القارئ بعدها .

من أين نبدأ في مشوار حياتنا اليومية ؟

أليست البديهة تقول من آخر ما انتهينا إليه ؟

طبعاً ليس تماماً، فالبدايات تختلف بحسب تخطيطنا لها .

وهناك في فن الرواية أو القصة ما يسمى الفلاش باك flash back؛ حيث يبدأ الراوي من غير البداية الفعلية في خلخلة

لترتيب الأحداث الزمنية هدفه البداية المؤثرة والمشوقة في آن واحد.

بداياتنا الحياتية كانت منذ ظهور أو خلق آدم الأول الذي حمل في ظهره ذريته كاملة – بما فيها نحن طبعاً - وما كان ظهورنا على مسرح الحياة إلا تجسيداً لذواتنا السابقة الذكر في هذا الهيكل الإنساني المسمى (الجسد) لكن أرواحنا كانت قبل ذلك بكثير ؟!

وكم هي البدايات ؟

نحن ما ننتهي من شأن حتى نبدأ في شأن آخر وهكذا، فكم هي البدايات ؟

إن الإنسان محصور ضمن قيود الزمان والمكان وقواعد البيولوجيا والجينات المسيطرة على تفاصيل مهمة فيه، كل هذه القيود تجعل لكل شيء بداية ونهاية بطبيعة الحال، لأن الزمان والمكان نفسيهما – كما يخبرنا علم الكونيات cosmology- لهما بداية كانت في لحظة الانفجار العظيم big bang الذي لا ماضي له ولا مكان قبله، بل هو الآلية التي بهما خُلق الزمان والمكان..

فإذا كانت قيود الإنسان المحاصرِة (بكسر الراء) له لها بداية فهو بالأحرى له بداية .

وكل عمل يقوم به الإنسان يمثل لحظة (انفجار عظيم) لهذا العمل الذي يصنعه، فلو أدرنا رؤوسنا وعاينا التاريخ سنجد البدايات كثيرة، فالإنسان بدأ استخدام النار قبل خمسمائة ألف سنة، وبدأ بالزراعة قبل إحدى عشرة ألف سنة، ودخل التاريخ بالكتابة قبل ستة آلاف سنة وبها بدأ الحضارة على ضفاف الفرات في العراق القديم قبل خمسة آلاف سنة ومثله ابتداء التكنولوجيا مع أول عملية صهر للمعادن في العصر البرونزي في الوقت نفسه تقريباً وهكذا تتابع البدايات.

فهل تنتهي البدايات؟

طبعاً لا .. إلا عند انتهاء الزمان والمكان والإنسان نفسه، فهذا الأخير لا يزال يمارس لعبة البدايات والتي مارسها بشكل مكرر عبر تاريخه الطويل؛ فمن عصر الفحم (الثورة الصناعية) إلى عصر الذرة ثم إلى عصر الفضاء فإلى ثورة الكمبيوتر والاتصالات ومن ثم إلى عصر الهندسة الوراثية والثورة البيولوجية ..إلى ..إلى..

بدايات تتلوها بدايات، ولايزال الإنسان في كل مرة يبدأ من جديد في طور جديد ليدخل في آفاق جديدة لا ينتهي البدء عندها بل يستمر .

***

مقام الحب

١٤ فبراير عيد الحب، هكذا أصبح هذا اليوم (العالمي) عادة عندنا في الشرق برغم أن هذا العيد غربي المنشأ والمحتفَل به، لكننا في شرقنا العربي دائما نتأثر بكل شاردة وواردة تأتينا من الغرب .

وبعيداً عن الرأي الفقهي في موضوع الاحتفال بهذا العيد - إن صح تسميته عيداً - فسأترك هذا الأمر لأهله من تحليل وتحريم وغيره سأدلي برأي فكري في ذلك ..

أنا حقيقة لست مع الاحتفال بعيد الحب في يوم معين، لكني مع الاحتفال والاحتفاء بالحب كشعور إنساني سامي، فأنا مع الحب ولست مع عيد الحب ..

قد يبدو الموقف متناقض لكني أوضح بسهولة؛ إني مع الحب تماماً ذلك الشعور السامي الذي لا يختلف عليه اثنان، لكن عيد الحب ومثله عيد الأم وغيرها من الأعياد الأوربية كلها تكرس للمركزية الأوربية التي يريدون أن ندور حول تلك (الكعبة)

الموهومة في كل أعيادهم ومناسباتهم التي ألصقوا عليها صفة (العالمية)، وانظروا معي حروبهم عالمية وكؤوسهم عالمية وكذلك أولمبياتهم و...الخ

فرفضي لعيد الحب هو من باب الممانعة الفكرية التي يجب أن نحرص على تفعيلها حتى تتميز هويتنا الشرقية العربية الإسلامية الخاصة بنا ولا تذوب فتكن جزءاً من مشاريع الآخرين، إنما يكون كياننا المستقل بنا لنا أعيادنا ومناسباتنا، وهذه النظرة لا تختلف مع توجهنا للدخول في الانسانية العالمية ضمن ثوابتنا ومحدداتنا الخاصة بنا، فهي نظرة متوازنة بين الذوبان في الآخر أو التقوقع على النفس .

في مفهوم الحب

أما الحب فلا يختلف عليه اثنان؛ إنه ذلك الشعور السامي الذي كلنا شعرنا ولا نزال نشعر به وسنظل نشعر به حتى آخر العمر..

فالحب ليس مجرد كلمة عابرة يقولها مراهق لمعشوقته كما تصوره أفلامنا ومسلسلاتنا وحتى قصائدنا (الرومانسية)، فالحب

أسمى من ذلك بكثير، لأنه يشمل حبنا لأنفسنا ولأوطاننا ولأقربائنا ولكل من له فضل علينا من معلمينا وشيوخنا وأصحاب القدوة العظمى لدينا ..

الحب يشمل حبنا لأبنائنا - مشاريع الامتداد من بعدنا- ولكل من حولنا في مجتمعاتنا، فمن الظلم أن نكبس كل هذه المعاني السامية للحب في حب مراهق غير ناضج أو نزوة عابرة يروم صاحبها من وراءها قضاء وطره وإفراغ رغبة مدفونه، ولكن لا يُفهم من كلامي هذا أنني أقف حائلا ضد كل حب شريف بين شاب وفتاة بهدف الزواج، لكن ليكن هذا الحب مكفولا ضمن ثقافة المجتمع وعاداته وقيمه..

إن أسمى مراتب الحب هي العبادة؛ فالعابد يهيم في حب معبوده، فلا تكن العبادات مجرد حركات وهمهمات وشعائر معدومة الوجدان، بل هي التعبير الصادق عن حبنا وشكرنا لخالقنا في صورة صلوات وتسبيحات وسلوكيات صالحة تجاه مجتمعاتنا الخاصة منها أو الإنسانية ..

هذا هو الحب كما أفهمه،

ودعونا في الأخير نرتل جميعا قوله تعالى - على لسان نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم - {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: ٣١]

صدق الله العظيم.

***

الرسول ﷺ في عيونهم

(١)

في ذكرى المولد النبوي الشريف أقدّم عدة من شهادة عقلاء الغرب في حق المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهدفي أن أوضح أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم هو ملك الإنسانية كلها وليس المسلمين فقط .

(٢)

جـــورج برنـــارد شـــو (١٨٥٦م ـ ١٩٥٠م) الكاتـــب المســـرحي الأيرلندي المولد، الذي نال جائزة نوبل للأدب عام ١٩٢٥م .

يقول :ـ قرأت حياة رسول الإسلام جيداً مرات ومرات و لم أجد بها إلا الخُلق كما يجب أن يكون، وأصبحتُ أضع محمد على قمم المصاف من الرجال الذين يجب أن يُتبعوا.

وأردف قائلا:- لو أن محمداً وُجد في عالم اليوم لاستطاع بقوة إقناعه أن يحل كل مشكلات العالم وأن يجعل الحب والسلام همّ الحياة.

(٣)

برتراند راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠م) الفيلسوف وعالم رياضيات البريطاني، أهم علماء المنطق الذين ظهروا منذ عصر أرسطو، والذي حصل على جائزة نوبل للأدب عام ١٩٥٠م .

يقول :- التعاليم التي جاء بها محمد والتي حفل بها كتابه مازلنا نبحث ونتعلق بذرات منها وننال أعلى الجوائز من أجلها ، وكان محمد بكتابه وتعاليمه أحق بكل هذه الجوائز لكنه لم يسع لذلك بل ترك الأمور تسير بطبيعتها.

(٤)

جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨م) الفيلسوف فرنسي، أهم كاتب في عصر العقل والذي ساعدت فلسفته في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية .

يقول :- لم يرَ العالم حتى اليوم رجلا استطاع أن يحول العقول والقلوب من عبادة الأصنام إلى عبادة الإله الواحد إلا محمداً؛ فالرجال أمثال محمد ممن تؤهلهم السماء يملكون كل أمور الحياة لأنهم يصنعون الحياة السوية.

(٥)

فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) واحد من أشهر الكتاب والفلاسفة الفرنسيين، ومن الشخصيات البارزة في عصر التنوير حيث تركت أعماله وأفكاره بصمتها الواضحة على مفكرين مهمين تنتمي أفكارهم للثورة الأمريكية والثورة الفرنسية.

يقول :- السنن التي أتى بها محمد كانت كلها قاهرة للنفس ومهذبة لها فجمال تلك الشريعة وبساطة قواعدها الأصلية جذبا للدين المحمدي أمما كثيرة أسلمت، والإسلام من حيث الاسم يكفي لهداية العدد الوافر من البشر.

(٦)

نابليون بونابرت أو نابليون الأول (١٧٦٩ - ١٨٢١م) القائد العسكري الفرنسي الذي توج نفسه إمبراطوراً لفرنسا، وقد مثل

أشهر عبقرية عسكرية في زمنه، بل ربما كان أشهر من تقلد رتبة لواء في التاريخ، وقد كوّن إمبراطورية ضمت معظم غربي أوروبا ووسطها.

يقول :- أحمد الله أنني لم أكن موجوداً في العصر الذي كان فيه نبي الإسلام يقود المعارك ضد أعدائه، وإلا كنت قد هُزمت بجدارة!

فإذا كان هذا حال أتباعه، فكيف كان حاله ؟

(٧)

ألبرت أينشتاين (١٨٧٩-١٩٥٥م) أحد أهم علماء الفيزياء في كل العصور، الذي ذاع صيته بسبب نظريته النسبية، التي أحدثت تطورًا في الفكر العلمي، إذ أتت بمفاهيم علمية جديدة قادت لاختراع القنبلة الذرية، وقد حصل على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٢١م.

يقول :- الذي أعرفه أن النبي محمد أستطاع أن يمتص كل سلوكيات اليهود الشاذة ضده وضد رسالته بالحكمة التي عامل بها الناس جميعاً، فلم يستطيعوا أمام فكره البسيط والعالمي في نفس الوقت إلا أن يرضخوا له فأصبحوا في يده وآمن البعض منهم

برسالته، وأعتقد لو كان محمد موجوداً ما كان على أرض فلسطين مشكلة .

(٨)

جوهان فون جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢م) الشاعر، والروائي، وكاتب المسرحيات الألماني، الذي يُعد من أهم أعلام الأدب الحديث في أوروبا، أشهر أعماله كتابه فاوست.

يقول :- كان رسول الإسلام معداً إعداداً ربانياً أنفرد به من بين سابقيه من الرسل والأنبياء على كثرتهم، لذا يستحق محمد رسول الإسلام التكريم الدائم وتذكير الناس برسالته وتعريفهم بها، فقد جاء بها ليعرفها العالم .

(٩)

أدولف هتلر (١٨٨٩ - ١٩٤٥م) زعيم ألمانيا النازية، الذي حكم ألمانيا حكمًا دكتاتوريًا من عام ١٩٣٣م إلى عام ١٩٤٥م، حوّل ألمانيا إلى آلة حرب قوية وأشعل نار الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، هَزمت قواته معظم أوروبا قبل هزيمتها هي عام ١٩٤٥م.

يقول :- أعتقد أن الذي استطاع أن يتعامل مع اليهود هو رسول الإسلام محمد فاستقطبهم بطريقته التي لم ولن يصل إلى مرتبتها أحد، فمحمد كان واسع الصدر يملك منطقاً غير عادي تأكدنا منه لتعامله معهم بالود الذي لم يألفوه وبالقوة التي شهدوها.

أعتقد لو كان محمد في عصرنا هذا لما فعلَ ما فعلتُ مع اليهود.

(١٠)

المهاتما غاندي (١٨٦٩ - ١٩٤٨م) أحد كبار القادة السياسيين في القرن العشرين، ساعد على تحرير الهند من الحكم البريطاني بأسلوب فريد تمثّل في المقاومة دون عنف، اغتاله هندي معارض برنامجه للتسامح الديني بين جميع المذاهب والأديان.

يقول :- العظيم الخالد إلى الأبد، محمد بن عبدالله، رسول الإسلام، كان قادراً على السيطرة على العالم كله، ومع ذلك ترك نفسه إنسانا للإنسان بالإسلام .

إن نبي الإسلام هو الذي قادني إلى المناداة بتحرير الهند.

(١١)

لِيو تولستوي(١٨٢٨ - ١٩١٠م) الكاتب الروسي الذي يُعد من أشهر الكتاب في العالم في مجال الأدب؛ حيث يُعد كتاب الحرب والسلام (١٨٦٩م) أنجيل الثورة البلشفية في روسيا، وقد تبادل هذا الكاتب الرسائل مع كبار مفكري وأدباء العالم.

يقول :- أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي أختاره الإله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه وقلبه وعقله .

لا يوجد نبي حظي باحترام أعدائه سوى النبي محمد، مما جعل الكثرة من الأعداء يدخلون الإسلام .

***

وبُورِك في الشباب الطامحينا

تعرفتُ في الفترة السابقة بواسطة الفيسبوك على مجموعة من الشباب المصريين الواعدين الذين لا تزيد أعمارهم عن الثلاثين سنة وبعضهم لم يكمل الجامعة بعد، لكن الطموح لا عمر له ...

فشاب مثل ياسين أحمد سعيد القادم من أسوان بصعيد مصر يحرر مجلة كاملة تدور حول الخيال العلمي تحت اسم (ومضات في الخيال العلمي والغرائبيات)، وها هو العدد السادس* يطل على صفحات الفيسبوك من تلك المجلة الشبابية، وليس الأمر متوقف عند ذلك، لكن هذا الشاب المبدع قد أصدر إلى الآن أربعة كتب ما بين روايات (الكون المعكوس - والمنسيون) ومجموعات قصصية (الفضاء الآخر - دائرة المجهول "بالاشتراك مع داليا مصطفى صلاح") ، لا ننسى أنه ابن ٢٤ ربيعاً فقط !

* نُشر هذا المقال بتاريخ ١٧-٣-٢٠١٤م، أما الآن (في منتصف عام ٢٠١٥م) فقد صدر أكثر من ٢٠ عدد من تلك المجلات، وأصبحتُ أنا كاتبا معهم !

ويلتحق به شباب آخرون ليكونوا فريق (لأبعد مدى) لتبدأ المسيرة الرائعة، فكانت رواية تفاعلية اسمها (الأمسية المظلمة) كتبها أربعة كتّاب شباب - في بادرة جديدة في الوطن العربي - وهم ياسين أحمد سعيد وداليا مصطفى صلاح ومحمود عبدالحليم ومصطفى جميل !

مع العلم أن كل واحد من هؤلاء له كتاب آخر أو كتابين منشورين....

وشاب آخر اسمه ياسر أبو الحسب يحرر مجلة الكترونية اسمها (علم وخيال) - أصدر للآن ١٤ عدد..

تخصص هؤلاء الشباب في أدب الخيال العلمي وأدب الرعب - الذي ما يزال جديداً على بيئتنا العربية - كان نتاجا طبيعيا للبيئة الثقافية التي احتضنتهم ممثلة في كتابات عمالقة الخيال العلمي العربي كالمرحوم نهاد شريف والدكتورين الرائعين نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق - حيث أن أغلبهم قد فاز بجائزة الدكتور نبيل فارق للخيال العلمي- ولا ننسى أن هؤلاء الشباب ولدوا في زمان الانفجار التكنولوجي والمعلومات الذي يحيط بهم، بل بنا جميعا فكان أن صبغهم بصبغته الخاصة ...

صحيح أن البيئة الثقافية المصرية بيئة ناهضة وليست طاردة للمواهب، لكن صعوبة الحياة اليومية تكاد تكون متقاربة بين دولنا العربية في ظل التغييرات الأخيرة التي مرت بها دولنا منذ ٢٠١١م

إن صناعة بيئة ناضجة لن يكون بقرار سياسي كما يتوهم البعض، لكنه قرار اجتماعي يقرره المجتمع الذي يريد أن يتخلص من قيود كبلته لقرون طويلة ويريد أن ينفتح على الناس والعالم ليعيش القرن الحادي والعشرين بكل متغيراته، وليس يستهلك تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين فقط !

إلى شبابنا اليوم في اليمن وفي كل قطر عربي آخر أدعوهم أن يتلمسوا خطى هؤلاء الفتية الذين أشرت لهم آنفاً، فطاقات الشباب اليمني أو المصري أو غيرهم يجب أن تخرج من قمقم الانطواء والركود، وأنا متأكد أن الشباب اليمني لديه من الابداعات ما يوازي الآخرين لكنه يحتاج منْ يأخذ بيده ليرى النور، لكن الانتظار لتلك اليد حتى تأتي لتكتشفهم ليس الحل، بل يجب أن يطرقوا كل الأبواب المتاحة لهم للإبداع، ولا أظن أن ياسين أحمد

سعيد وأقرانه ظلوا قابعين في بيوتهم يجترون أعمالهم حتى تنفتح لهم "طاقة القدر"!

بل اتجهوا إلى الثبج الالكتروني على شبكة الإنترنت وبدأوا ينشرون إبداعاتهم عليه فأوصلوا أصواتهم إلى دور النشر من حولوهم حتى وجدوا صدى أصواتهم في دار ليلى للنشر ودار سما وغيرها من الدور.

فمتى يتحرك شبابنا ويخرج ابداعاته للنور؟

نحن في اليمن لدينا أكثر من ٤٤ دار نشر محلية، لكن لا أرى أثراً لها على أرض الواقع، ومنْ ينتظر أن يظهر ابداعه لمّا تتحسن الظروف المحلية أو الشخصية، فسيطول انتظاره ولن ينشر شيئاً .

وأخيراً:

شبابٌ قُنّعٌ لا خيرَ فيهم ... وبُورِك في الشبابِ الطامحينا

(أحمد شوقي - من قصيدة توت عنخ آمون)

***

كيف تتعلم حب اليمن في ٥ أيام بدون معلم؟

مما لاشك فيه أن حب الأوطان فطرة في النفس ولا تحتاج إلى تعلّم أو تدريب، فكل إنسان مرتبط عاطفيًا وحياتيًا بالأرض التي ينتمي إليها ودرج عليها في سنوات صباه..

لكن تشوب هذه العاطفة بعض الانحراف والتشويه بل والتمويه عن قصد أو عن غير قصد، بحيث تجعل من الفرد يمارس بعض السلوكيات ظاناً أنه بذلك يعبّر عن حبه لوطنه دون أن يدري أنه يسيء للوطن أكثر مما يحسن، لأن العاطفة المجردة من أي تعقل تضر في بعض الأحيان، يقول الشاعر :

رام نفعا فضر من غير قصد... ومن البر ما يكون عقوقا

لذا أدعو عزيزي القارئ في سياحة خمسة أيام لنتعلم – أنا وهو سويًا- حب اليمن..

اليوم الأول

هل قرأت بعضًا من كتب التاريخ اليمني؟

لاشك أنك سمعت بكتاب الإكليل للسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني وما جاء فيه عن أنساب حمير وسبأ وكهلان .

ادعوك للاطلاع عليه وعلى غيره من كتب التاريخ لتعرف عراقة الحضارة اليمنية تلك الحضارة المنسية وهي الحضارة الضاربة في أعماق التاريخ الإنساني بما لا يقل عن تسعة آلاف سنة ؟!

يكفي أن تعرف ان الملكة بلقيس ذكرتها كل الكتب السماوية بالتصريح أو بالتلميح، وما أخبار الملك سيف بن ذي يزن عنا ببعيد، أما ملوك اليمن التبابعة فهم ممن استفردت بهم اليمن دون غيرها من البلدان..

لكن هذه الحضارة العريقة تحتاج للاهتمام وعرضها في ثيابها القشيبة ليعرف الأحفاد أي إرث حضاري يملكونه فلا يضيعوه..

ولو تعرف كم ألمي وحزني – وكثيرون من أهل الاهتمام بالتاريخ اليمني مثلي- عندما يُعرض أي فيلم وثائقي عن تاريخ الشرق الأوسط ويذكر حضارة وادي النيل في مصر – وهي لاشك حضارة عريقة- وكذلك حضارة سومر في العراق والفينيقيين على الساحل اللبناني ولا إشارة – مجرد إشارة- لحضارة اليمن السعيد؟!

كل هذا لأننا لم نحسن تسويق ونشر حضارتنا ..

وأني أدعوك لأن تقرأ كتاب الأستاذ /محمد حسين الفرح (الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير) المنشور في عام ٢٠٠٤م لتعرف ما أقول.

اليوم الثاني

قلت لي ذلك تاريخ ذهب ومضى وما لنا إلا الحاضر الذي تعيش فيه ؟!

صحيح ..إذن دعني أريك آثار ما مضى، فالآثار خير دليل على صحة الأخبار..

فهل زرت سد مأرب؟

ومعبد بلقيس؟

وصهاريج عدن؟

وما رأيك بزيارة المتحف الحربي بصنعاء لتقف على تلك الاثار، فمن اليمن كانت قوافل المر واللبان والبخور إلى كل أرجاء العالم

القديم، وإذا ذهبت في زيارة إلى شبام تريم سترى أول ناصحات سحاب في العالم بنيت بدون روافع حديثة باعتراف وإعجاب الشرق والغرب وعلى رأسهم الروائي الألماني جونتر جراس صاحب نوبل في الأدب عام ١٩٩٩م ..

وأكثر الآثار التصاقًا بنا هي اللغة العربية التي ننطقها جميعا، فلو محصّت جذورها وجذور الخط الذي كُتبت به ستجد لليمن اليد الطولى في ذلك من زمان يعرب يمن بن قحطان، الذي كان أول من (أعرب) الكلام أي بينه، أما الخط فما الخط العربي الحديث إلا امتداد للخط النبطي في البتراء القادم من اليمن أبان الهجرات السامية القديمة ..

وقف معي أمام مسميات المحافظات اليمنية صنعاء ..مأرب.. عدن.. شبوة.. حضرموت.. أبين وغيرها أليست أسماء الملوك الذين ذهبوا في غابر الدهر وما زالت أسماؤهم خالدة حتى اليوم؟

وليس هذا في الماضي السحيق، بل حتى في الماضي القريب؛ فاذهب إلى تعز الحالمة واسأل عن مساجدها، ستجد الأخبار عن دولة الرسوليين الشامخة التي حكمت لقرنين وربع من الزمن في القرن السابع الهجري وتركت لنا الاشرفية والمظفر والأسدية

والجلالية وغيرها من المساجد في المحافظات اليمنية، ولعلك سمعت عن انتهاء ترميم جامع العامرية في رداع الذي ينسب بناؤه إلى الملك الطاهري عامر عبدالوهاب في القرن التاسع الهجري.

اليوم الثالث

دعنا نترك التاريخ والآثار جانبًا ودعني أريك الطبيعة الساحرة لليمن، فعدن لوحدها درة السواحل اليمنية بشواطئه المتعددة؛ من الساحل الذهبي إلى العروسة، فالعشاق، وساحل ابين والغدير، ناهيك عن مدينة الحديدة والمخا، وعلى ذكر المخا Mocha فهذا الاسم له صداه في أوربا عندما أعاد الفقيه علي بن عمر بن ابراهيم الشاذلي المتوفي سنة ١٤١٨م بناء ميناء المخا وإنشاء أقدم بيوت القهوة (المقاهي) والمتاجر في مدينة المخا والتي على غرارها أنشئت بيوت القهوة في أوروبا وأقدمها في مرسيليا وباريس ولندن..

واذهب إلى إب الغناء التي قال عنها الرحالة العربي أمين الريحاني " قبضة لؤلؤ على بساط أخضر"؛ فجبل بعدان يكتسي

بالسندس الأخضر في موسم الأمطار في الصيف، والحقول الخضراء على طول الطريق في قاع الحقل (يحصب) ما هي الا لوحة بديعة من صنع المولى عز وجل..

ناهيك عن وادي الضباب والبركاني في تعز وجبال شبام كوكبان ووادي ضهر ودار الحجر خارج صنعاء..

اليوم الرابع

لنترك التاريخ والجغرافيا خلفنا ودعنا نفتش في الثروة الحقيقية ..الإنسان، فالمواطن اليمني أكثر أهل الأرض طيبة ورقة ويكفيك ما تعرفه من شهادة النبي (ص) – الذي لا ينطق عن الهوى- في قوله الشريف: " أتاكم أهلُ اليمن هم أضعف قلوباً وأرقّ أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية" وفي رواية والفقه يمان..

هذا الإنسان اليمني طاقة جبارة لو استثمرت جيدًا..

ودعني أسألك: ألم تنجب هذه الأرض عمالقة في مختلف العلوم والفنون؟

يكفي أن نذكر الهمداني – لسان اليمن- ذلك الموسوعة، وشارحه نشوان الحميري، ومن فرسان اليمن عمرو بن معد يكرب الزبيدي صاحب الصمصامة واليمنيين أصحاب الفتوحات العظيمة في أرجاء المعمورة، وليس بعيدًا عن أذهاننا أسماء مثل عبدالرحمن الغافقي والسمح بن مالك الخولاني وغيرهم...

ربما قلت لي هذا في الزمن الماضي وماذا عن اليوم ؟

أقول هذه الأرض (ولّادة) بالعظماء والعباقرة، ولا يغيب عن ذاكرتنا المعاصرة الأستاذ الزبيري، والأستاذ البردوني، والدكتور المقالح، ناهيك عن الجرّاح العالمي الدكتور علي بن علي الربوعي، أما عباقرة الطرب الحديث ففي أسماء مثل أبوبكر سالم وأحمد فتحي وسواهما دليل على ذلك.

وقد احتفل اليمنيون بفوز الشاعر المبدع عبدالعزيز الزراعي بلقب أمير الشعراء في موسمها الرابع، لكنني استغربت لماذا تأخر فوز اليمنيين لهذه الجائزة أربع سنوات كاملة، فاليمن هي بلد الشعر؟!

اذهب إلى سوق الملح في صنعاء أو باب موسى في تعز أو الشيخ عثمان في عدن لترى المواطن اليمني الأصيل ببراءته وطيبته...

اليوم الخامس

هل اغتربت يومًا ؟

أنا شخصيًا انسلخت من عمري ست سنوات كاملة في أرض الرافدين في منتصف التسعينات أثناء الدراسة الجامعية، سنوات كان أنيسي فيها الرفقة الطيبة من اليمنيين والعراقيين على السواء إلى جانب أكياس (البن) البلدي التي كان والدي – رحمه الله- يرسلها إليّ، هذا البن يظل هو الأفضل مذاقًا رغم مزاحمة البن الفنزويلي والبرازيلي له في الأسواق العالمية وشجرة (القات) داخل حقول الوطن !

هناك في الغربة ستحنّ إلى أي بارقة أو خاطرة أو لمحة عن اليمن، وسيكون ملامح أي يمني تراه أقرب من أخيك لأبيك وأمك..

وأي صوت قادم من اليمن سيكون له خفقة القلب الخاصة رغم تفاهة الخبر الذي يحمله ذلك الصوت؟!

ستعرف في الغربة لهفة اللقيا وحرمان البعد عن بلدك الذي لعبت في مراتعه صغيرًا ونمّاك كبيرًا ..

حقيقة كم أحترم في الأخوة المصريين حبَّ انتمائهم لبلدهم، فمصر أم الدنيا – وهي كذلك- والمصري (يشحطط) ويتحمل كل الرزايا ويسب ويلعن كل شيء من حوله إلا مصر (أم الدنيا)..

فهل يصح أن يسب أم الدنيا ؟!

ولا يزال عند النقّاد المصريين نزعة العتاب على شاعر العرب الأكبر أبي الطيب المتنبي لأنه عرّض بمصر في بعض أبيات ولاتزال هذه النزعة إلى اليوم رغم كل هذه السنوات ...

وفي الهند يعيش المواطن المطحون في بيت من (صفيح) ويسب ويلعن كل شيء من حوله إلا الهند، فالهند فوق كل شيء وشعاره دائمًا MOTHER INDIA ..

فمتى يكون الوعي لدينا كذلك ؟

متى تصبح اليمن وحب اليمن – بكل علاتها- فوق كل شيء وقبل كل شيء وأهم من كل شيء؟

عندي يقين أن المواطن اليمني لا يقل محبة لبلده عن المواطن المصري أو الهندي أو سواهما من شعوب الأرض، وهو مستعد أن يتحمل انقطاع الكهرباء وشحة الغاز والديزل والبترول بل

والهواء – إن لزم الأمر- كل هذا من أجل شيء واحد هو أن يبقى هذا الكيان الأكبر – اليمن- الذي تذهب كل الكيانات الأخرى – مهما كانت – من أجل هذا الكيان الخالد ابدًا، أرض أجدادنا ومستقبل أبنائنا وأحفادنا من بعدنا.

***

إرادة الشعوب

(١)

عندما قال الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي قصيدته المشهورة "إرادة الحياة" بمطلعها الثوري:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

قال فقهاؤنا هذا كفر !

دون أن يتبادر إلى أذهانهم أن إرادة الشعوب هي من إرادة الله سبحانه وتعالى؛ فهو وحده الملهم لهذه الشعوب لتصنع إرادتها فلأمر منه أولاً، لذا فاستجابة القدر لهذه الإرادة لا تخرج عن سنة الله الكونية .

(٢)

الشعوب أو الجماهير هي الأساس الباعثة لكل سلطة؛ يقول الزعيم الخالد/ جمال عبد الناصر: " إن الجماهير هي القوة الحقيقية والسلطة بغير الجماهير هي مجرد تسلط معادٍ لجوهر الحقيقة. "

(٣)

ما يجري هذه الأيام في مصر من شد وجذب حول الإعلان الدستوري الأخير للرئيس المصري د/ محمد مرسي* أمر طبيعي في ظل انفتاح باب الديمقراطية والحرية على مصراعيه، وبرغم المداد الذي سال والأثير الذي حمل عشرات المقابلات على الفضائيات للآراء المتباينة حول ذلك الإعلان ما بين مؤيد ومناهض ..

أقول الحكم للشعب في الأخير وهو منْ سيقرر ولا أحد غيره، وشعب مصر لا خوف عليه فهو شعب عظيم وسينتصر في النهاية لإرادته فلا تقلقوا.

(٤)

* نشر هذا المقال في ٥-١٢-٢٠١٢م

نتذكر إرادة الشعوب، ونحن نحتفل بالذكرى الـ٤٥ لجلاء المستعمر البريطاني عن الأرض اليمنية في عام ١٩٦٧م، فما صنع ذلك اليوم الأغر إلا إرادة شعب فرض حكمه على مستعمره بعد مسيرة استمرت أكثر من ١٣٠عام لكن في الختام أسدل الشعب الستار لما شاءت إرادته لا إرادة مستعمره .

(٥)

فلسطين اليوم أصبحت دولة ذات عضوية – ولو منقوصة – في الأمم المتحدة حلم راود الفلسطينيون لعقود فكلنا يتذكر أن الرئيس الراحل ياسر عرفات تقدم بهذا الطلب في عام ١٩٧٤م لكنه رُفض لكن اليوم تم قبوله.

إنها خطوة على طريق الاستقلال التام عن شاء الله.

هكذا دوماً إرادة الشعوب الحرة تظل على أمل ولو كان هذا الأمل بعيداً لأن القضية العادلة تظل عادلة ولا تسقط عدالتها بالتقادم ..

والشعوب لا تموت إلا إذا ماتت إرادتها .

(٦)

أخيراً

صحوة الطاغوت : خمرٌ

والهتافات حشيشْ

آه لو ألقى على التاريخ نظرهْ

آه لو حاول أن يدرك سرَّهْ

لرأى أن الجماهير رياحٌ

وعروش الظلم ريشْ

ولألفى كلَّ فصلٍ دمويٍّ

ينتهي دوماً بفقرهْ

يسقط الحاكمُ

...والشعبُ يعيشْ.

(الشاعر أحمد مطر)

***

العيش في زمان السندوتش

ماذا يمكن أن نسمي هذا الزمان الذي نعيش فيه إلا زمان السندوتش !

عصر السرعة التي طغت فيه هذه السرعة على كل شيء في أكلنا وشربنا وطريقة حياتنا، وانظر من حولك سترى أن هذا عصر الوجبات السريعة من الهامبرجر والماكدونالد وغيرها..

هذا عصر طائرات الكونكورد التي تقطع آلاف الاميال في ساعات معدودة بدلا من العير والجمال التي كانت تقطع المسافات في أشهر طوال..

هذا عصر الأغنية السريعة في كل شيء في التأليف والتلحين وحتى في الغناء!

بدلا من المطولات القديمة أيام زمان في عصر أم كلثوم وعبدالحليم وأضرابهما .

هذا عصر طغت فيه الآلة الميكانيكية جاعلة منا (روبوتات) حازمة لا تعرف المواربة ولا المجاملة حتى في معاملاتنا الشخصية فيما

بيننا البين؛ فالتعامل بيننا أصبح وفق نظام (الاتكيت) وما يصح وما لا يصح وما يوافق المقام ... وغيرها.

لا أقول هذا الكلام ناقدا بل شاهدا على هذا العصر الذي أنا واحد من أفراده..

والأدب في هذا العصر يخضع هو الآخر لمقاييس السرعة الميكانيكية والآلية الصماء، فبدلا من المعلقات العصماء نجد الأعمال الكاملة لشعراء لم يُصدروا حتى تاريخ أعمالهم الكاملة إلا ديوانين وأصبح الشاعر يغيب عن الساحة الثقافية لشهر أو شهرين عائدا بديوان مطبوع أو ديوانيين !

هذا عصر قصيدة النثر ـ التي يسميها الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي (القصيدة الخرساء) – التي لا تكلف الشاعر إلا النقر على الورق إلا من أجاد وقليل ما هم ..

كل شيء خاضع لمقاييس العصر وحسب الطلب.

ومع هذا الإيقاع المتسارع لهذا العصر أرى أن كتيبات الجيب مناسبة تماما، بدلا من المؤلفات الضخمة التي تمتلئ بها مكتباتنا، لكن سيقول قائل إنها – أي كتيبات الجيب- لا تفي بالغرض فهي

مختزلة والمعلومات التي فيها غير عميقة، أقول في مثل هذا العصر الذي نعيش فيه لم يعد في مقدور الفرد منا ـ اللاهث وراء لقمة العيش خصوصا في وطننا العربي- أن يجد الوقت الكافي لمطالعة مثل تلك المراجع الضخمة، لذا فالكتيبات الصغيرة الحجم تحل عدة مشاكل دفعة واحدة فهي رخيصة، وقابلة للحمل أثناء التنقل في السيارة أو الطائرة..الخ إلى جانب أن المعلومة فيها ملخصة، ومن أراد الاستزادة فلا بأس أن يعود لأمهات الكتب والمراجع المعتمدة في موضوع ذلك الكتيب الصغير، الذي أدعوا أن يكون محتويا على فهرسة لأهم مراجعه الأساسية، فيصبح هذا الكتاب هو مفتاح الرجوع إلى تلك المراجع الضخمة ..

عصرنا يلهث يا سادة ونحن نلهث وراءه بما قدمت لنا التكنولوجيا من وسائل اللهث السريع بحيث تجعل منا أبطالا في كل مارثون يقام في هذا العصر ...

***

إلى صديقي المختلِف معي

صديقي الغالي أحببت أن أرسل إليك هذه الرسائل القليلة، فيا ليت تقبلها مني وأنا عليك مشفق وحريص، خصوصًا في هذه الأيام التي اختلط الحابل فيها بالنابل!

(١)

كم أشفق عليك يا صديقي، وأنت تلوي أعناق الحقائق من أجل أن تنتصر لحزبك أو لتيارك.

المهم أن ما تنتمي له من تكتل هو الصح ولو كانت الحقائق غير ذلك !

وأن غيرك على خطأ..

تعرف أنك تغالط نفسك، وتعلم أن الغشاء شفاف والحق هو المنتصر مهما طال الأمد..

لكنها غشاوة الانتماء الضيق تعمي الأبصار والبصائر ..

صديقي، أدعوك إلى أن تنتمي لهذه الأرض وليس لسواها مهما كانت الدعاوى..

هذه الأرض هي الباقية ونحن الزائلون بكل أفكارنا ..

ولن يبقى إلا منْ يعمر الأرض، لأن هذه هي رسالة الإنسان الذي استخلفه الله عليها..

(٢)

إن الدم المسفوك في الزمن الحاضر،

والذي سُفك في جمعة الكرامة ،

وفي ميدان السبعين ،

وفي حضرموت ،

وفي أبين ،

وفي كل شبر من أرضي في أي زمان من هذه السنين النحِسات هو دمي أنا وأنت أيها اليمني ..

فهل تفهم ؟

(٣)

سأختلف معك في الفكر والآراء كيفما أشاء، وستختلف معي أنت أيضا كما تشاء، لكن يجب ألا نختلف حول إنسانيتنا وآدميتنا التي نتفق عليها جميعًا..

(٤)

لا يوجد دم أفضل من دم، كل اليمنيين دماؤهم واحدة، مهما تفاوتت أحزابهم وتياراتهم، وحتى أفكارهم، فهم في الأصل يمنيون.

(٥)

استحضار مصطلحات التاريخ الإسلامي القديمة تزيد التوتر الحاصل، فنحن في اليمن ليس لدينا "روافض"، وكذلك ليس لدينا "نواصب"؛ هذه المصطلحات لم تكن يومًا لدينا، وإنما كانت هناك في مناطق صراعاتها كما تعلم، فلا نحشر اليمنيين في مثل هذا الأتون..

وإذا أردنا فلنسمِ المتصارعين بأسماء الزمان الحالي، بدلًا من تحميل الصراع كل هذا الإرث الطويل ..

(٦)

يا صديقي

افهمْ الدين على الشاكلة التي تريدها، هذا حقك، لكن لا تفرض عليّ هذا الفهم ...

(٧)

اختلافنا في وجهات النظر حول موضوع ما، يعطي للموضوع زوايا متعددة فتتسع الرؤية....

(٨)

العالم يعيش في عام ٢٠١٤ ميلادية

ونحن نعيش في عام ١٤٣٦ ميلادية أيضًا وليس هجرية!

وتلفت حولك وتابع أوضاع الدول العربية لتتأكد ....

وكذلك ليس لنا من القرن الحادي والعشرين، إلا الرقم ٢١!

(٩)

يجب أن نُنحي "المتطرفين" عن الميكرفونات، وأماكن الرأي العام!

(١٠)

يا صديقي

تذكّر أن أفضليتك تكمن في إنسانيتك، وليس في شيء آخر ..

ستقول لي إن أكرمكم عند الله أتقاكم

أقول صحيح، والتقوى ألا تجعلك إنسانا ؟

***

أنت في اليمن

عندما نشاهد سائقاً عاكساً للخط أو صاحب بناء ساداً للشارع بأدوات بنائه أو أياً من السلوكيات الخاطئة التي يحفل بها مجتمعنا اليمني المعاصر، فإننا نردد هذه العبارة المدمرة لا تستغرب "أنت في اليمن " !

فهل أصبحت عبارة " أنت في اليمن" ماركة مسجلة لكل السلوكيات الخاطئة ؟

وكأننا نحمّل اليمن كل السلوكيات الخاطئة التي يمارسها أفراد من سكانها، واليمن كبلد عريق كان ولا يزال موطن التاريخ الأول الذي انبثقت منه واحدة من أعظم الحضارات القديمة التي ظلت آثارها الجغرافية وصداها في كتب التاريخ إلى يومنا هذا ...

وما أظن الذين يرددون هذه العبارة " أنت في اليمن " إلا يريدون التنفيس والتعبير عن غيظهم منْ الذين يمارسون تلك السلوكيات النشاز عن المألوف - حتى أصبحت هي المألوف - في زمن تراخت فيه قبضة الدولة فسوّغت لكل منْ هب ودب أن يفعل ما يشاء دون خوف من رادع أو وازع له ...

عبارة "أنت في اليمن" ما هي إلا استمراء للواقع السيء المعاش وباستمرار هذا الاستمراء تصبح الألفة مع النشاز هي المقياس !

وكأننا نصدق علينا مقولة أبي نخيلة لمّا دخل اليمن فلم ير بها أحداً حسناً، ورأى نفسه ـ وكان قبيحاً ـ أحسن من بها، فقال:

لم أرَ غيري حسناً ... منذ دخلت اليمنا

ففي حرٍ أم بلدةٍ ... أحسن من فيها أنا

وكأننا بإهمالنا أنفسنا نجمّل قباحات الآخرين !

متى تصبح عبارة " أنت في اليمن" هي البوابة لكل جميل نقابل به أنفسنا ونقابل الآخرين الزائرين لهذا البلد الطيب وهم يرون كل إبداع وجديد يقدمه أهلوه في كل مجالات الحياة ؟

بحيث لا يستغرب أحد لو رأى أي انطلاقة وإبداع لنا في اليمن لأننا سنرد عليه هذه المرة ـ واثقين وفخورين بأنفسنا ـ: لا تستغرب "أنت في اليمن " .

***

فلسفة السياق

لا شيء في الحياة منفصل عما يحيط به، فكل شيء متأثر بالبيئة المحيطة ويبلغ هذا التأثر مداه في تشكيل هذا الشيء نفسه.

فالإنسان ابن بيئته لا ينفك عنها تطبعه بطباعها وتلزمه بظروفها أيا كانت هذه الظروف سلبًا أو إيجابًا.

فلو أن عالمًا كأينشتاين – مثلاً- وُجد في بيئة عربية تخضع لبيروقراطية مملة لا تشجع على البحث العلمي ولا تحتضنه، فهل كان من المتوقع ان يقدم مثل تلك الأفكار الثورية التي غيرت مفاهيم الفيزياء الحديثة ؟!

أم كان سيظل ذلك الموظف البسيط في مكتب براءة الاختراعات في برن بسويسرا حتى تقاعده؟!

فالبيئة هنا هي السياق الذي يوضع فيه الإنسان وبدون فهمها لا نحيط علما به.

سياق اللغة

في اللغة يلعب السياق الدور الأكبر في صياغة العبارات، لأن المفردة في المعاجم تحمل دلالات ومعاني متعددة لكن بوضعها في سياق العبارة تجعل المفردة تحمل دلالة محددة ومقصودة لا كل تلك الدلالات مجتمعة، بل وقد تتعدى ذلك إلى دلالات تخرج عن دلالات المعاجم بما نسميه الدلالات المجازية، ولنأخذ مثلاً كلمة (ضرب) فهي في (ضرب زيد عمرا) بمعنى وكز، وفي (ضرب الله مثلا) بمعنى ذكر، وفي (ضرب فلان موعدًا) بمعنى حدد، وفي (ضرب الحارس الجرس) بمعنى دق، ونجد المجاز في (فلان ضرب في الارض) بمعنى سعى، إلى غيرها من المعاني، فانظر إلى تعددها وكيف ان السياق حدد معانيها.

لذا نجد العالم اللغوي عبد القاهر الجرجاني يؤكد على أهمية السياق فيقول: " وجملة الأمر أنآ لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنّا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلَّقا معناها بمعنى ما يليها."

سياق التاريخ

في التاريخ تحيط بالأحداث التاريخية ظروف تحكمها بما يمكن أن نسميه سياق تلك الأحداث، فلا فهم عميق ولا دقيق لها إلا في سياقاتها المتعددة من مكانية وزمانية وديمغرافية وغيرها، وإيراد حادثة هكذا دون ملابساتها وظروفها لا يحسم أمر التحقق منها وإدراك دواعيها ومسبباتها، لذا نجد العلامة ابن خلدون يجعل من طبائع العمران وما يقتضيه هو القانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار المروية لأن الوقائع التاريخية لا تحدث بمحض الصدفة أو بسبب قوى خارجية مجهولة، بل هي نتيجة عوامل كامنة داخل المجتمعات الإنسانية، فعلم التاريخ، وإن كان "لا يزيد في ظاهره عن أخبار الأيام والدول" إنما هو "في باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، لذلك فهو أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق"، فيرد ابن خلدون بعضا من مرويات التاريخ التي يراه لا توافق للسياق الذي حدثت فيه، ومن ذلك ما نقله المسعودي أيضاً في حديث مدينة النحاس وأنها مدينة كل بنائها نحاس بصحراء سجلماسة، ظفر بها موسى بن نصير في

غزوته إلى المغرب، وأنها مغلقة الأبواب، وأن الصاعد إليها من أسوارها إذا أشرف على الحائط صفق ورمى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر، وكذلك أن جيوش موسى عليه السلام قد بلغت ست مائة ألف مقاتل وكذلك ما روى الطبري والجرجاني والمسعودي من أخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى أفريقية والبربر من بلاد المغرب وأن أفريقش بن قيس بن صيفي من أعاظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل غزا أفريقية وأثخن في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ما هذه البربرة فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وأنه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فأقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم صنهاجة وكتامة...

وغيرها من الاخبار.

سياق الفقه والتفسير

في الفقه تتلون الفتوى التي يصدرها المفتي بالسياق الذي توضع فيه؛ لأن الفتوى ما هي إلا اجتهاد ذلك المفتي ضمن ما علمه من

أصول الفقه وفروعه، لكنها - أي الفتوى – بنت الزمان والمكان الذي وجدت فيه وهي ليست بمعزل عن المستفتي الذي طلبها، فكل تلك المحددات و الظروف يمكن أن نسميها سياق الفتوى الذي قد يغيّر الفتوى نفسها إذا تغيّر، واسمع معي ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (كنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فجاء شاب، فقال: يا رسول الله أُقبِّل وأنا صائم ؟ قال: لا، فجاء شيخ فقال: أُقبِّل وأنا صائم ؟ قال نعم؟ قال: فنظر بعضنا إلى بعض فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد علمت لمَ نظر بعضكم إلى بعض إن الشيخ يملك نفسه).

فقد اختلفت فتواه - صلى الله عليه وسلم - في حكم واحد، وذلك لاختلاف الحالين .

فكيف بعد ذلك يستخرج بعض علمائنا فتاوى مر عليها أكثر من سبعمائة عام لتطبيقها في زماننا المعاصر لأنها للفقيه الفلاني أو العالم الفلاني دون مراعاة لسياق صدور الفتوى الأصلية نفسها ولا لظروف عصرنا ومدى المواءمة بينهما ؟!

أما في التفسير فقريب الشبه من الفقه، فرغم القواعد الثابتة في التفسير التي أرساها علماؤنا الأوائل – رحمهم الله تعالى- إلا أن

ثقافة المفسر وذائقته اللغوية وكذلك علوم عصره الذي يعيش فيه، كل هذه سياقات تحيط بالتفسير الذي يقدمه ذلك المفسر في عصره، فعطاءات القرآن لا تنتهي فهو الخالد إلى يوم القيامة، لكن سياقات كل عصر تفرض على المفسر إدراكات وإبداعات جديدة يستخرجها من الكتاب العزيز، ويرجع ذلك إلى تعدد الدلالات التي تحملها المفردة القرآنية فتلعب ثقافة العصر (إحدى السياقات) دورًا محوريًا ليختار المفسر أحد الدلالات المفردة القرآنية دون غيرها، فيظل تجدد تفسير القرآن في كل عصر معلمًا بارزًا من معالم إعجازه.

***

ماذا يخبئ لنا عام ٢٠١٤م؟

طبعاً الله أعلم هو الجواب الجاهز !

لكن هذا لا يمنع التوقعات البشرية على حسب المؤشرات الحياتية الموجودة أمامنا ..

عام ٢٠١٤م لن يكون في معزل عن عام ٢٠١٣م، ولا عن الأعوام التي قبله، لأن ٢٠١٤م هو الوريث الشرعي لكل تلك الأعوام ..

فماذا يخبئ لنا هذا العام ؟

على المستوى المحلي نجد أن وثيقة الأقاليم التي تم توقيعها قبل أيام تمثل خارطة طريق لهذا البلد، لكن أي طريق !

هل الأقاليم ستصبح هي القدر المقدور علينا في عام ٢٠١٤م ؟ أم هناك حل آخر ؟

أتخيل اليمن في أواخر عام ٢٠١٤م وهي "مأقلمة" !

الحقيقة الخيال لا يسعفني لأني لم أجرّب "التشظي" بهذا الشكل !

على المستوى العربي، دخل الربيع العربي في شتاء قارس - رغم الدماء الحارة في سوريا وليبيا واليمن - ودورة الفصول تابعت سيرها ولم تقف عند فصل الربيع كما أراد الشباب، بل واصلت إلى الشتاء مروراً بالخريف ...

من ناحية ثانية عندما أرى وأسمع "كوم" التهاني التي تملأ وسائل الإعلام عندنا، فأستغرب أن العرب يتحدثون عن عام ٢٠١٤م ويتبادلون التهاني بقدومه وكأنهم موجودون في العالم و"مؤثرون" فيه..

مع أنه لا فرق لدينا - نحن العرب- بين عام ٢٠١٣م أو عام ٢٠١٤م، كله زي بعضه !!!!!!

فالعرب - على سبيل المثال عندنا في اليمن، وفي (دماج) خصوصاً وما يجري فيها - قد يتبادلون التهاني لقدوم عام ٢٠١٤م، لكنهم في نفس الوقت يتبادلون الرصاص لـ ١٤٠٠ سنة خلت !

هذا هو تناقضنا في تعاملنا مع التاريخ الذي ثلاث أرباع مشاكلنا من سوء التعامل معه، ولا نزال نتساءل متى ندخل التاريخ ؟!

لا آسف على عام ٢٠١٣م الذي رحل عنا بكل ما فيه، لأنه سيرحل شئنا أم أبينا، الأسف كل الأسف على ذاكرتنا المنخورة منذ سقوط بغداد عام ١٢٥٨م !

أخيراً :

هذي الجراحُ بلادي سوفَ تلتئمُ ...

(الشاعر العراقي الرائع / مهند ناطق)

***

دنيا الفيسبوك

(١)

يقول أحمد شوقي :

لكلَّ زمانٍ مضى آيةٌ وآية هذا الزمانِ الصُّحُف

فهل بقيت الصحف آية هذا الزمان ؟

نعم لكن بطور جديد اسمه الفيسبوك ؟!

الفيسبوك ـ أحد مواقع التواصل الاجتماعي ـ هو آية هذا الزمان ! صحيح أن الفيسبوك ليس من الصحف لكنه يقوم بمقامها إذا لم يكن بأكثر منه تميزاً .

دعونا نقارن :

الهدف من الصحف هو طرح الأفكار والأخبار، وكذلك الفيسبوك، بل هو أكثر سرعة في نشر الأخبار مجرد وجود كاتب على صفحة معينة قد يضع الخبر في ثوان في حين أن الصحيفة تحتاج إلى

مراسل لها وكذلك الانتظار إلى موعد النشر سواء الإلكتروني أو الورقي .

الفيسبوك يعمل على مدار الساعة مما يجعل أخباره طازجة إلى جانب أنها تكون قابلة للنقد والتعليق عليها والدخول في حوارات حية حول ذاك الخبر أو تلك القضية، وهذا ما لا تقدره الصحيفة الورقية ولو قدرت فلن تكون بنفس الكفاءة .

الفيسبوك ينشر الخبر بالصوت والصورة، وهو ما يجعله متفوق على الصحيفة التي تكتفي بالصورة والنص بدون تفاعل حركي مع القارئ متمثلا في الفيديو - إذا استثنيا الصحف الإلكترونية .

أخيراً الفيسبوك باب الاشتراك فيه مفتوح دون أدنى تحيز أو حظر وهذا ليس متاحا بنفس القدر في الصحف الورقية خاصة.

(٢)

الفيسبوك هو البوابة الفريدة لطرح الأفكار أياً كانت هذه الأفكار؛ عجيبة أو غريبة أو متنافية مع الدين أو متطرفة في شرح الدين أو ما كانت وما خطر على ذهن صاحبها، المهم كومة أفكار دوّنها

على حائطه العجيب ونشرها دون رقيب من أحد ولا حظر من فلان ولا علان ..

فكل مشارك في الفيسبوك يسوّق بضاعته مهما كانت مزجاة، فلا كساد في هذا السوق العجيب ..

هذا الأمر يجعلك - إذا ذهبت إلى هذا السوق مرتاداً- ألا تنسى أن تضع على عقلك (فلتر) لكل ما تتلقاه من افكار فليس كل ما يلمع ذهباً !

(٣)

نحن اليمنيين جعلنا من الفيسبوك (مقيلاً) لكن بدون قات !

حيث أصبح ملتقى كل (الضابحين*) بعد قات أو قبل قات، والذي زاد الطين بله والفيسبوك نفاذا هي الأحداث التي مرت بها بلادنا وبعض البلدان العربية خلال السنتين الماضيتين، والتي لعب الفيسبوك دوراً فيها - خصوصاً ثورتي تونس ومصر - كل هذه الأحداث انعكست على الكتابات المدونة على الفيسبوك للناس في

* كلمة عامية تعني : الضيقين

هذه البلدان الذين انقسموا إلى ثلاثة أصناف ما بين متحيزين للنظم الجديدة ومتحيزين للنظم السابقة ومتفرجين على الفريقين !

وكل واحد من الفريقين الأوليين يهاجم من أجل الدفاع عن وجهة نظره السياسية، خصوصاً أيام الأحداث المثيرة مثل انقطاع الكهرباء أو وقوع أي كارثة تمر بها البلد ...

(٤)

ومن عجائب الفيسبوك أن هناك منْ يكتبون عن الأحداث بشكل مقلوب فيجعلون الظالم مظلوما والمظلوم ظالما، فتبت أيديهم من كاذبين !

كم عقوبة هذا التزوير الفكري - إن صح التعبير- الذي يمارسه الفرد من خلال ما يبثه عبر حائطه الافتراضي ؟

هذه هي دنيا الفيسبوك آية هذا الزمان من خلال عالم افتراضي تجعل المتعاطي معه يحلّق عبر حائطه في عوالم متعددة وبلا حدود.

وفي الأخير لأن تكون آية هذا العصر الافتراضية هي الفيسبوك هو أحسن حالاً من أن تكون آيته شظايا انفجارات تهز بلداننا في

أي لحظة ـ كما هو الحال في العراق على سبيل المثال، كما قال الاستاذ عبدالله البردوني:

قالوا: لكل زمان آيةٌ، صدقوا هذي الشظايا لهذا العصر آياتُ

فما رأيكم ؟

***

كنتُ في مستشفى حكومي !

زيارة لم تكن رسمية، بل إجبارية تحت ضغط المعدة المنهكة، والصداع المستمر !

زيارة لم تكن سارة بالمرة، ولا أحسبها تسر السامعين ولا الناظرين ولا حتى العميان !

ما أن دخلت إلى ساحة - ما تسمى مجازًا مستشفى - إلا وأحسست أني في عرصات الحشر ليوم القيامة، زحام لا أهون منه إلا زحام رمية العقبة ....

وبالوساطة دخلنا إلى الطبيب متخطيا العشرات التي تنتظر، طبعًا لم تكن وساطة أشخاص، لكن وساطة أعراض "الدوار" الذي كاد يرميني على قارعة المستشفى الفاره!

دخلنا والباري كريم، دكتور معالج في سرعة الضوء لأن عشرات من رؤوس الغنم- وأنا ربما كنت واحداً منهم، عفوًا أقصد البشر - تنتظر الدور على المسلخ الطبي ...

وبلهجة واثقة يقول الطبيب : أنت عندك "جرثومة في المعدة " أو ما رأيك تفحص أولاً ؟

قلت : أفحص..

ذهبت مع مرافقي إلى المختبر للفحص،

الاسم الرسمي مختبر ، لكن التجاري شيء آخر !

المهم فحصت، وعدنا للطبيب الذي لمعت عيناه بشطارة وهو يقول : ألم أقلك جرثومة في المعدة ؟!

وجاء دور العلاج، الذي نعرف أن صيدلية المستشفى خالية منه ومن أي ارتباط لها به أو بغيره، لكن الصيدليات الخارجية ما تقصر ولله الحمد !

عدنا ليقرر الطبيب العلاج، لم يكن موجودًا فتولى زميله المهمة، وكان أحد العلاجات - لا سامحه الله - كان إبرة يجب أن تُضرب - مش عارف هي الإبرة التي تُضرب أم المريض ؟!

المهم ضُربت الإبرة وريد في غرفة أخرى تعج بالمرضى الذين استلقوا على ما تسمى أسرّة ويمر الضارب أقصد الطبيب ليضرب لهم تلك الإبر كأحسن طبيب مواشي !

قال لي أحد المرضى : يا ولدي الداخل (لاهانا)* فرحان والخارج فرحان !

قلت : كيف ؟

قال : الداخل فرحان بالعلاج ليخفف الألم، والخارج فرحان هربًا من الألم (البشري) !

في الأخير :

منْ لم يزر المستشفى فليحمد الله على العافية من المرض ومن المستشفى ومما فيه ....

***

* لا هانا : باللهجة المحلية تعني إلى هنا

عندما يسود الملل

الملل ذلك الداء المستفحل الذي يصيب الجميع دون استثناء لأحد، ما من واحد منا وإلا ومرت عليه فترة بل فترات زمنية شعر بملل مطبق عليه، حتى أصبح لا يدري ماذا يفعل ؟ وكيف ولماذا ؟

كل شيء متشابه، كل الألوان صارت لونا واحداً، والوجوه تشابهت والمواقف نفسه ..

الرتابة لفت كل التصرفات منذ الاستيقاظ من النوم وحتى الذهاب إلى النوم مرة أخرى..بل إن النوم نفسه أصبح شيئاً مملاً ؟!

دوائر الحياة من حول الإنسان ضاقت ولم يعد هناك أي شيء يشد الانتباه ويلفت النظر.

الأخبار السياسية التي تذيعها النشرات كل يوم هي نفسها تقريباً لا تخرج عن دائرة العنف والعنف المضاد والكوارث والبؤس المطبق على البشرية طيلة الزمان ..

وكذلك أخبار الفن والرياضة والأدب ..حتى أخبار الطقس تشابهت مع ما يذاع كل يوم ؟!

شعور الملل أصبح جارفاً أفقد المشاعر الحياتية الأخرى أي طعم ولون ونكهة، وأصبح شعار الحياة اليوم في كل صباح مرحباً بك في دنيا الملل.

الكاتب المصري الراحل أنيس منصور ألّف كتاباً رائعاً عن الملل بعنوان " وداعاً للملل"، صحيح أن الكتاب شخّص الملل بكل تفاصيله وحلل ووضح، لكنه لم يقضِ على الملل الذي يحيط بنا..

يقول أنيس منصور " الذي عنده ملل يشعر أنه ليس على صلة بالواقع إنه منعزل "

وكأن العزلة هي مصدر هذا الملل المطبق.

وفي موضع آخر يقول " الذي يمل أو الذي يتململ هو إنسان لا يرغب حتى في الرغبة "

إنسان فقد الرغبة في أي شيء، وبالتالي أصبح أقل تذوقاً لمتع الدنيا، ونجد هذا في الذين يفرطون في كل ملذات الدنيا حتى

الثمالة ثم يداهمهم شعور الملل لشعورهم بالغربة في ملذاتهم عن الحياة الطبيعية..

لكن الدكتور مصطفى محمود لديه راي آخر إذ يقول " الملل عقوبة الطبيعة لمنْ لا يعمل "

فهل يصيب الملل العاطلين فقط ؟

أبداً، فهناك من الذي يعملون يصيبهم داء الملل والرتابة ..

في وجهة نظري الملل يصيبنا من الرتابة التي نمارس بها أعمالنا اليومية ...كيف؟

نعم نحن نقوم بأعمال لكن دون روح ولا متعة في العمل نفسه مما يجعل الملل شعوراً مصاحبا لنا، لأن ذلك العمل يتحول إلى أداء لا روح فيه مجرد إسقاط لواجب سبب القيام به هو الحاجة وليس الرغبة فيه، وأثناء تنفيذنا له تحكمنا الألفة العادة في التنفيذ، فلا إبداع ولا ابتكار ولا شيء من ذلك فنصبح مجرد (آلات) بشرية تنفيذ ذات العمل بمرور الوقت..

وانظروا معي إلى حالة الموظف الحكومي في بلداننا العربية، إنه يمارس نفس (الروتين) الوظيفي طيلة عقود الخدمة الملزم بها

فرضتها عليه قوانين البيروقراطية التي تعاني منها حكوماتنا العربية ...

ودعونا نتتبع هذه الرتابة ..

يبدأ العمل بحافظة الدوام ـ ذلك القيد الذي لابد منه لتسجيل تواجد الموظف في مكان عمله ـ فّاذا وقّع عليها فهو موجود وإن غادر مكان العمل وإذا لم يوقّع فهو غير موجود وإن كان متواجداً بشحمه ولحمه، المهم ما تقوله الأوراق الرسمية !

ثم يتابع العمل ـإن وجدـ بنفس الرتابة اليومية وهكذا ..

وتنعكس هذه الرتابة على سلوكه في عاداته الاجتماعية التي صارت ضيقة الجغرافيا محصورة بين مكان العمل والبيت ومكان تواجد شلة الاصدقاء ...

ونصبح في نهاية المطاف كأننا أجهزة هضم تعمل بحكم قوانين البيولوجيا التي أودعت فيها عندما تتلقف أي طعام !

إن التغيير في عاداتنا هو الذي يكسر هذا الملل المطبق ويضخ دماء الحياة والحيوية في هذا الهلام المتكلس من البشر الذي ظلوا يمارسون نفس تلك الاعمال لعقود وسيظلون كذلك ..

يجب أن نغير من مواعيد أعمالنا ..

من وضعنا ...

كي نغلق أي سبيل يؤدي بنا إلى تلك الرتابة حتى نبدع ونصنع جديداً ولا نقع في فريسة التقليد بل نكون نواة تجديد..

فإلى كل (مملول) أدعوك إلى تغيير عاداتك اليومية والاسبوعية والشهرية، حتى تستعيد بشريتك ولا تكن مجرد (سن) في ترس يدور داخل مكينة ضخمة اسمها المجتمع ...

غيّر طريق ذهابك إلى عملك...

غيّر المقيل اليوم، ليكن في حارة أخرى عند أصدقاء جدد أو أصدقاء قدامى لم تلتقِ بهم منذ زمن..

تعرّف على كاتب جديد لم تقرأ له من قبل ..

غيّر....غيّر ....حتى تتغير أنت فلا يداهمك طاعون الملل.

***

أهل حب لا أهل حرب

شتان بين الحب والحرب ..

لكن نحن من أي الصنفين ؟ هل نحن دعاة حب أم دعاة حرب ؟

أقول هذه الكلام بمناسبة عيد الحب العالمي الذي يدعونا لمراجعة أنفسنا بعيداً عن دعاوى "التبديع والتفسيق " حول الاحتفال بهذا العيد " الغربي" المنشأ ...

نحن الساكنين في هذه الرقعة الجغرافية المسماة "الوطن العربي" هل نحن أهل حب أم أهل حرب ؟

ظواهر الحال تقول أننا أهل حرب !

كل هذه الانفجارات والأحداث الدموية عندنا تقول ذلك !

ولو نظرت إلى الخريطة سترى الانفجارات تبدأ من العراق شرقاً إلى المملكة المغربية غرباً، مروراً بسوريا ولبنان وفلسطين واليمن ومصر وليبيا وتونس والجزائر ...

هكذا يقول واقع الحال للأسف...

لكن في حقيقة الأمر كل أديانا السماوية التي ظهرت في هذه المنطقة تدعو للسلام من اليهودية إلى المسيحية إلى الإسلام ...

ألسنا نقرأ هذه العبارات :

" الله محبة " ...

و" المجد لله في الأعالي، وللناس المسرة، وعلى الأرض السلام ..."

و " أحبوا أعدائكم " !

و " {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران : ٣١]

وغيرها ...؟

نحن في الأصل أهل حب ودعاة سلام، تشهد بذلك نصوصنا المقدسة، وكذلك شواهد التاريخ أبان حضارتنا العربية الإسلامية الغاربة التي بسطت رداءها على البسيطة لأكثر من ثمانية قرون كاملة، كنا قبلة العالم من مشرقه إلى مغربه ...

ودارت الأيام دورتها، ودخلت عقائدنا الأفكار الغريبة التي حرفتها عن أصلها السامي إلا بقية من أصول، هذا الانحراف الخطير جعل من تلك النصوص البريئة " قنابل " متفجرة بمفاهيمها المغلوطة والمحرفة عن معانيها التي جاءت من أجله؛ فاصبح الجهاد قتالاً والدعوة إرهاباً والتبليغ تبشيراً وغيرها ...

اليوم الناس تحتاج للتآلف بالحب وليس بالحرب، لأن القلوب أكثر انقياداً للحب من الأسر بالحرب التي لا تخلف وراءها إلا الدمار، وشواهد التاريخ عبرة أي عبرة لمنْ أراد أن يعتبر ...

فنادوا الناس بالحب وأدعوهم بالحسنى والموعظة الحسنة والقول البليغ المؤثر في النفس البشرية التي لوثتها رتابة الآلة الصماء والعصر الجامد من كل عاطفة جياشة بما قد يسلم الإنسان للمجهول !

وإذا كان الغرب يحتفل بالحب يوماً، فنحن الحب عندنا هو الدين نفسه !

وأخيراً:

أدينُ بدينِ الحبِّ أنَّى توجَّهتْ...رَكائِبُهُ فالحُبُّ ديني وإيماني

(ابن عربي)

***

في وداع عام ٢٠١٤م

على أبواب عام جديد، ماذا نكتب ؟

بصراحة لا أدري !

فأنا تساءلت ذات مرة :

ماذا يعني حلول أي عام جديد لنا نحن العرب ؟

أظن أنه لا يمثل شيئًا ذا بال ؛

فعام ٢٠١٥م سيكون في الجملة مجرد استبدال الرقم ٥ بالرقم ٤ في التقاويم !

صحيح أن العالَم ـ بما فيه نحن ضمنًا ـ سيدخل عام ٢٠١٥م، لكن عندنا دخول العام الجديد يعني تغيير التقاويم على الجدران فقط، هذا لمَنْ يعلّقون التقاويم !

والأمر برمته طبيعي، لأننا سكان المنطقة الجغرافية المسماة "الوطن العربي الكسير " لو تساءلنا :

ماذا أضفنا للعالم خلال ٢٠١٤م ؟

الإجابة ستكون : المزيد من الحروب والويلات التي نكتوي بنارها نحن والآخرون معنا!

ونظرة على أخبار الوطن العربي من شرقه إلى غربه ـ المتصدرة وسائل الإعلام المختلفة ـ تأتيك بالأخبار مالم تزودِ !

فالعراق غارق في مشاكله، وجواره سوريا في أتون الأحداث الأخيرة ،

وأحوالنا في اليمن لا تخفى عنا جميعًا ،

وليبيا تكاد تشابه وضع سوريا ..

أما فلسطين فجراحها لازمة إعلامية لا تكاد تخلو منها كل نشرة أخبار !

أما مبدعونا فهم هناك خارج حدود الجغرافيا ومشاكل التاريخ، يظهرون إبداعاتهم ..

عام جديد

بمناسبة العام الجديد لو طرحت هذا السؤال : هل نحن نعيش مع العالَم في سنة ٢٠١٥م حقاً؟

طبعًا لا أقصد الحياة البيولوجية ، إنما أين مكاننا على خارطة العالم اليوم ؟

ما هو موقعنا من التقدم العلمي ؟

والتقدم الصناعي ؟

باختصار : ما هو موقعنا من التقدم الحضاري الذي يعيشه العالم من حولنا ؟

أظن الإجابة معروفة سلفاً، ونكاد نختصرها في أننا مجرد مخزون من المصادر الأساسية للطاقة ، يحرسها "كم" من البشر يعيشون على هامش الحضارة !

لذا لن تفرق معهم عام ٢٠١٤م وعام ٢٠١٥م أو أي ... ٢٠ قادم!

وأخيرًا:

مَرَّ القطارُ سريعاً،

لم يكن زَمَني

على الرصيف معي،

فالسَاعةُ اختلفتْ

من الساعةُ الآن؟

ما اليومُ الذي حَدَثتْ

فيه القطيعةُ بين الأمس والغدِ

لَمَّا هاجر الغَجَرُ؟

محمود درويش ـ من قصيدة مرّ القطار

***

أناس في حياتي

في حياة كل واحد منا مجموعة من البشر الذين يؤثرون فيه تأثيرا كبيرا ..

وأنا هنا أتحدث عن الذين تركوا بصمات كبيرة لا تمحى في حياتي أنا على الأقل ومن هؤلاء :

(١)

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (٥٧١-٦٣٢) لا شك أن هذا الإنسان العظيم غيّر في الخلق كلهم بإنسهم وجنهم حتى الذين لم يؤمنوا بنبوته ...

(٢)

والدي المهندس احمد العمري (١٩٤٣-٢٠٠٨) الذي علمني الأبجدية الأولى في الحياة وعلى يديه بدأت طريقي ..

(٣)

الدكتور محمد عمارة (١٩٣١-) هذا الباحث العظيم الذي قدّم الصورة الراقية للإسلام الحضاري من خلال مؤلفاته التي فاقت المائتي كتاب ..

(٤)

الدكتور عبدالوهاب المسيري (١٩٣٨-٢٠٠٨) صاحب موسوعة اليهودية والصهيونية هذا الباحث الذي يشق في الصخر من أجل فضح الآخر المعادي لهوية الأمة ....

(٥)

الدكتور محمد عابد الجابري (١٩٣٦-٢٠١٠) صاحب مشروع نقد العقل العربي المفكر الكبير الذي نقد العقل العربي لكي يعيد له أصوله في التفكير الناقد ....

(٦)

الدكتور مصطفى محمود (١٩٢١-٢٠٠٩) صاحب العلم والأيمان والقلم المناضل في كل ميادين الحياة والفلسفة والعلم والفكر..

(٧)

الدكتور أحمد زويل (١٩٤٦-) العالم المصري المعروف بإبداعه في الكيمياء (صاحب نوبل ١٩٩٩م) الذي أعاد لنا ثقتنا بأنفسنا أننا نستطيع.

(٨)

الشيخ محمد متولي الشعراوي (١٩١١- ١٩٩٨) العالم الجليل الذي قدّم التفسير للعامة قبل الخاصة وفك ما استغلق من الأمور في المفاهيم الإسلامية .

(٩)

الشيخ محمد الغزالي (١٩١٧-١٩٩٦) هذا العالم الذي كشف عن وجه الإسلام الراقي من داخل الإسلام نفسه..

(١٠)

ألبرت أينشتاين (١٨٧٩-١٩٥٥) صاحب النظرية النسبية، هذا العقل الجبار الذي قدّم للبشرية أعظم الأفكار في الفيزياء ...

(١١)

عبدالله البردوني (١٩٢٩-١٩٩٩) هذا الشاعر الذي أعاد للشعر رونقه ولليمن مكانتها في الشعر فحملها معه في كل دواوينه.

هؤلاء هم غيض من فيض أثروا في حياتي وحياة الملايين غيري – أقصد المشاهير منهم-، وطبعا ليس هؤلاء الكل، إنما نموذج ليس إلا....

***

مجرد حلم

هل بقت لنا القدرة على أن نحلم ؟

مجرد أن نحلم ؟

أم أنها الأحلام - حتى الأحلام- لم تعد مستطاعة ؟

هل ضاعت قدرتنا على أن نحلم من أجل مستقبلنا ؟

المواطن اليمني منذ عقود كانت له تطلعات كثيرة وهو يشاهد حالة بلاده المتردية مقارنة مع ما رآه من بلدان تمكن من زيارتها سواء للدراسة أو للعلاج أو لطلب الرزق، كل تلك التطلعات كانت أحلام الماضي والتي من المفترض أن تصبح حقائق الحاضر، لكن هذا الحاضر لم يأتِ بعد، ولم يعد يدري هذا المواطن هل سيأتي هذا الحاضر أم لا ؟

هذه ليست نفثة يأس ولا هي تأوهات يائس بقدر ما هي قراءة في الواقع المعاش ..

لكن عن أي واقع سنتحدث ؟

إن الذي سيتناول الواقع اليمني بمعزل عن الواقع العربي وما حدث فيه من تطورات شملت مصر وسوريا، لن يكون تناوله إلا مجزوءاً غير كامل ولا يمثل حقيقة الواقع، فالبلدان العربية منظومة واحدة - رغم خلافاتها البينية - ويجب تناوله من هذا المنظور ..

فالواقع اليمني صحيح أن لديه الخصوصية اليمنية، لكنه لن يذهب بعيداً عن الواقع العربي العام مؤثراً ومتأثراً بقدر ما لليمن من ثقل، وكذلك الأخريات من دولنا العربية لأننا كلنا في الهم شرقُ ..

فأين أصبح واقعنا اليوم ؟

أصبحنا في (معتقل) الحياة اليومية التي لا تنتهي إلا لتبتدئ من جديد في رتابة قاضية على كل إبداع ينتشل المواطن البسيط من رتابة الروتين المعاش سواء في وظيفته التي يمارسها بكل آلية كالروبوت من أجل لقمة العيش ليس إلا، لا إبداع ولا تجديد أو في معاملاته الحياتية في حارته أو منطقته المحصورة هي الأخرى في ظروفها الرتيبة، فأصبح اليوم مثل الأمس مثل الغد مثل بعد شهر أو سنة لا جديد تحت الشمس ولا تطلع إلى أبعد من ساعات اليوم المعاش وكفى ...

وكأن المواطن اليوم يدفع صخرة الشهر إلى آخر يوم حتى استلام المعاش ليبدأ شهر جديد دافعاً صخرته إلى آخره وهكذا وكأنه (سيزيف) عصره !

وليت أنها صخرة الشهر فقط بل صخور عديدة تراكمت عليه ؛ فمن صخرة الشهر إلى صخرة الوظيفة إلى صخرة الوقت وتمضيته (الأصح تضييعه كما نقول) إلى صخرة السياسة إلى غيرها من صخور تراكمت عليه بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ...

هذا واقعنا المعاش، فهل خرج الشباب في عام ٢٠١١م من أجل أن نظل نراوح في مكاننا أم كانت لهم تطلعات أكبر من ذلك ؟

لا شك أن الشباب كانوا يحلمون بحاضر ومستقبل أجمل من ذلك..

فهل بقي من ذلك الحلم شيء ؟

مجرد بقية حلم لا أكثر ..

***

الأم الباقية

أمي العزيزة..

أردت أن أحتفل بعيدك، عيد الأم،

في شهر الربيع، شهر العطاء الذي يشابه عطائك،

لكن السياسة وأخبارها جرفتني ،

بل غمّت عليّ، وعلى كل يمني ينتمي لهذه الأرض ..

كيف لي أن أحتفل وصور الشهداء الذين يسقطون على امتداد الأرض اليمنية تتصدر أخبار كل القنوات العالمية والمحلية ؟!

أمي إن بنيك اليوم في معمعة السياسة ينتحرون ..

وأنا حزين لما يصيب بلدي ..

هل الانفجارات والاغتيالات أصبحت هي السمات التي ترافق اسم اليمن في كل نشرة ؟

هل الحزن على الضحايا الذين يسقطون على كل شبر من أرض اليمن أصبح قدر اليمنيين ؟

ماذا دهانا يا أمي ؟

فرّقتنا المصالح، فتفرّقت دماؤنا على كل شوارع الوطن !

لا يكاد يمر أسبوع إلا وانفجار أو اغتيال هنا أو هناك ..

كم تمنيت أن أحتفل بعيدك الرائع كما يحتفل الآخرون بأعياد الأم في كل أرجاء الأرض، لكن الحزن يظلل سماوات الوطن هذه الأيام..

وكانت تدابير الأقدار عجيبة إذ رحل والدي - رحمه الله - في يوم ٢١ مارس عام ٢٠٠٨م، فأصبح اليوم يمثل لي عيد الأم والأب معا !

فيا كل أم، على امتداد الأرض اليمنية ،

احرصي أن يكون بنيك ذخرا ورصيدا لهذه الأرض بعيدا عن دائرة القبح الذي يحيط بنا من كل جانب ..

اليمنيون لن يعدمون الأمل في الخير أبدا، ففي البيوت اليمنية من النساء الفاضلات أمهات يقمن على تربية الجيل وتنشئته على قيم المجتمع التي تمثل هويته، في زمن فقدت كثير من المدارس قدرتها على التربية والتعليم في آن واحد ؟!

فكم من إم تقوم بواجبها الأسري تجاه أولادها وزوجها وتتحمل مشاق الحياة المعاصرة بظروفها الاقتصادية المتدهورة في صمت ومثابرة دون أن تبس ببنت شفة من تذمر أو سأم ..

وأنا إذ أقدّر أو أُعلي من قدر الأم والأمومة - في يوم عيدها وفي غيره - لا أكون قد جئت بغريب، ولا أمرا مستنكرا، فهذا مقام لا يدانيه مقام ، ومثلي يجب أن يقدّر هذا المقام ؛ فقد تناقلتني أيدي أمهات كثيرات عبر مسيرة حياتي الشخصية حيث قامت كل واحدة منهن بدورها حتى رحلن جميعا إلى بارئهن - رحمهن الله رحمة واسعة ..

لكنّ أماً منهن لم ولن ترحل !

وسأرحل أنا وهي لا تزال حاضرة بكل حبها وأمومتها لكل بنيها ..

إنها أمي وأمك أيها اليمني في كل مكان ،

إنـها أمي اليمن..

وأخيرًا:

انظر الكونَ وقلْ في وصفهِ ...كلٌّ هذا أصلُه من أبوين

فإذا قيلَ : ما أصلُهما ؟... قل : هما الرحمةُ في مَرْحَمتين

فقدا الجنةَ في إيجادنا ... ونَعِمْنا منهما في جَنّتين

(أحمد شوقي)

***

أصداء الهجرة

(١)

ألف وأربعمائة وثلاثة وثلاثون سنة* مرت على الهجرة النبوية الخالدة التي تطل ذكراها علينا هذه الأيام..فما قيمة الزمان مقابل الحدث الذي غيّر وجه التاريخ ؟

إن الألف والأربعمائة الماضية لا تمثل إلا لمحة من تاريخ الكون الطويل (قدّر علماء الكونيات عمر الكون بحوالي 13,8 مليار سنة) لكن لحظة مجد خالدة تساوي قرنا كاملا خاليا من المجد ...

سنستقبل الذكرى – كما نفعل كل عام – بإقامة المحاضرات والحلقات والموالد مرددين السيرة النبوية أو نتفا منها في ببغائية مفرطة مرددين الأحداث نفسها والحوارات نفسها التي نرددها كل عام وكأننا نقرأ سيرة أبي زيد الهلالي أو الزير سالم وليس سيرة

* نشر هذا المقال في ذكرى مطلع السنة الهجرية ١٤٣٣هـ

أبي القاسم محمد صلى الله عليه وسلم الذي بهجرته المحتفَل بذكراها أخرج الناس من الظلمات إلى النور ...

(٢)

ما أحوجنا هذه الأيام الحالكات أن نجعل من ذكرى الهجرة العطرة نبراساً لنا، فالنبي الكريم لمّا هاجر خلّف وراءه في مكة ماضيا من جهد ثلاث عشرة سنة في الدعوى إلى التوحيد الخالص حتى إذا استتب وصنع نماذجا من بشر موحدين ومرتبطين بعرى السماء هاجر إلى المدينة ليبني (دولة) تكون نموذجا لارتباط الناس فيما بينهم على اختلافاتهم المعهودة بين البشر في كل العصور، فقد شملت دولة الهجرة في المدينة نماذج من مسلمين ويهود ومنافقين فكانوا مجتمعاً واحد اً ضمن (مواطنة) راسخة أسسها النبي الكريم على بنود الوثيقة المشهور خبرها في التاريخ التي تُعد أول وثيقة في حقوق الإنسان تعرفها الإنسانية في تلك العصور ..

إن تلك الوثيقة الخالدة تقر مبدأ التعايش الإنساني بين بني الإنسان على اختلاف عقائدهم وأفكارهم، فادعوا المحتفلين بهذه الذكرى

العطرة أن يستلهموا هذا الدرس في بناء حياتهم المدنية وكفى به درساً؟!

(٣)

تأتي ذكرى الهجرة العطرة وأنباء تترامى في وسائل الأعلام من مصر عن تهديدات لجماعات تسمي نفسها إسلامية بعزمها (نسف) الأهرامات وتمثال أبي الهول بدعوى أنها (وثنية)!

كم أتعجب من مثل هذه (الدعاوى) وأقول بأي عقول يفكر هؤلاء ؟

وفي أي زمان يعيشون ؟

يذكرنا هذا بحركة طالبان لمّا نسفت تمثالي بوذا عام ٢٠٠١م بالدعوى نفسها ؟!

لقد مرّ عمرو بن العاص مع جيشه من المسلمين من أمام هذه (الأوثان المزعومة) في عام ٤٢هـ ـ ٦٤٠م فاتحين مصر لتنضم إلى رحاب هذا الدين الحنيف، ألم يكن الأولى بهم منا أن يقيموا دعوى الوثنية هذه ؟ خصوصا وهم أقرب منا إلى فهم تعاليم الدين الخالدة وعايشوا صاحب الرسالة الخالدة الذي نحتفل هذه الأيام بذكرى هجرته الخالدة ؟

لكن التاريخ ما سجل مثل تلك الدعوى !

إن هذه مجرد آثار وليست أوثان تُعبد ولا تضل أحداً عن دينه يأتي إليها السياح من كل أرجاء المعمورة متعجبين من عظمة الحضارة الفرعونية الغابرة ..

ألا يعلم هؤلاء أن علم المصريات والأهرامات يُدرّس في أغلب الجامعات العالمية وهذه الآثار نماذج خالدة ودروس شاخصة لهذه العلوم ..

رحم الله الشيخ محمد الغزالي فكان دائما يردد " إن هذه الدين يحتاج إلى قلب تقي وعقل ذكي "..

(٤)

في ذكرى الهجرة العطرة لمحة إلى شخصيتين من رجال الإسلام العظام هما أبو بكر الصديق والإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما – ودورهما في الهجرة معروف بما يغني عن الشرح، فإلى دعاة الطائفية من غلاة السنة والشيعة – على السواء – أما في ارتباط الرجلين في ذلك الحادث رسالة لكم أن تكفوا عن (اللغو

واللغط) الذي شغلتم به الأمة طيلة هذه القرون عن صراع مزعوم حول الأفضلية والأسبقية و...الخ؟

لو قرأنا تاريخنا بعقول مستبصرة لما يُراد بنا لما وصلنا إلى هذه (الدركات) من التخلف بحيث يأخذ أموات الماضي برقاب أحياء الحاضر...ولا حول ولا قوة إلا بالله

(٥)

ما زال في ذاكرتي أناشيد كنا نرددها في هذه الذكرى العطرة منها

الهجرة هجرة هادينا ... حمل المختار لنا دينا

وصل الصديق إلى الدارِ في صحبة خير الأبرارِ..الخ

فأين ذهبت تلك الأصداء القديمة ؟

(٦)

والشيء بالشيء يذكر فكلنا نحفظ رائعة الأستاذ البردوني عن الهجرة (بشرى النبوة) التي يقول فيها :

بشرى النبوّة طافت كالشذى سحرا وأعلنت في الربى ميلاد أنوارِ
وشقّت الصمت و الأنسام تحملها تحت السكينة من دارٍ إلى دارِ
وهدهدت "مكّة" الوسنى أناملها وهزّت الفجر إيذانا بإسفارِ

...الخ

الغريب وأنا أطالع سيرة ابن إسحاق وجدت قصيدة نسبها صاحب السيرة إلى الخليفة الراشد أبي بكر الصديق- رضي الله عنه، وجدتها تطابق قصيدة الأستاذ البردوني السابقة الذكر وزناً وقافيةً، فهل استلهم الأستاذ البردوني قصيدته منها معارضا لها ؟

تقول كلمات هذه القصيدة :

قال النبي ولم يجزع يوقرني ونحن في سدفة من ظلمة الغارِ
لا تخش شيئا فإن الله ثالثنا وقد توكل لي منه بإظهارِ
وإنما كيد من تخشى بوادره كيد الشياطين كادته لكفارِ
والله مهلكهم طرا بما كسبوا وجاعل المنتهى منهم إلى النارِ
وأنت مرتحل عنهم وتاركهم إما غدوا وإما مدلج ساري
وهاجر أرضهم حتى يكون لنا قوم عليهم ذوو عز وأنصارِ

حتى إذا الليل وارتنا جوانبه وسد دون الذي نخشى بأستارِ

سار الأريقط يهدينا وأينقه ينعين بالقرم نعيا تحت أكوارِ

يعسفن عرض الثنايا بعد أطولها وكل سهب رقاق الترب موارِ

حتى إذا قلت قد أنجدن عارضها من مدلج فارس في منصب وارِ

يردي به مشرف الأقطار معتزم كالسيد ذي اللبدة المستأسد الضاري

فقال كروا فقلنا إن كرتنا من دونها لك نصر الخالق الباري

إن يخسف الأرض بالأحوى وفارسه فانظر إلى أربع في الأرض غوارِ

فهيل لما رأى أرساغ مقربه قد سخن في الأرض لم تحفر بمحفارِ

فقال هل لكم أن تطلقوا فرسي وتأخذوا موثقي في نصح أسرارِ

وأصرف الحي عنكم إن لقيتهم وأن أعور منهم عين عوارِ

فادع الذي هو عنكم كف عدوتنا يطلق جوادي وأنتم خير أبرارِ

فقال قولا رسول الله مبتهلا يا رب إن كان منه غير إخفارِ

فنجه سالما من شر دعوتنا ومهره مطلقا من كلم آثارِ

فأظهر الله إذ يدعو حوافره وفاز فارسه من هول أخطارِ

فما رأيكم ؟

***

ماذا يعني أن تكون مهمّشاً ؟

ظاهرة المهمشين ظاهرة تسترعي الانتباه فلا يكاد يخلو منها بلد ـ بغض النظر عن مستوى البلد المادية ـ وكأن التهميش خاصية (إنسانية) مع سوء التعبير في لفظة إنسانية !

والاسباب التي تؤدي إلى تهميش بعض فئات المجتمع كثيرة، منها اللون ـ كما هو ظاهرة (الأخدام) عندنا في اليمن ـ ومنها العرق، ومنها كون تلك الفئة أقلية ضمن أكثرية ظالمة مصادره للحقوق، وقد تجتمع كل هذه الاسباب دفعة واحدة فتكون الكارثة مركبة .

تخيّل أخي القارئ أنك واحد ممنْ ينتمون لطائفة مهمشة سواء في بلدك أو في بلد ما ...

ضع نفسك ـ ولو جدلاً ـ مكان واحد منهم وقل لي ما هو شعورك ؟

حتى لفظة (مهمّش) لا تختلف في حروفها عن (مهشّم) وكأنهما وجهان لعملة واحدة ؟!

وكأن في اللفظين انتصاراً لمبدأ الاشتقاق الأكبر لابن جني ...

مع أن قواميس اللغة لما تتحدث عن الجذر(همش) تدور حول الاختلاط والسرعة وغيرها وليس المعنى الجديد اليوم، فيبدو اللفظ أنه موّلد عن معنى قديم ...

إن التجاهل المقصود لحقوق طائفة من البشر بسبب أحوال فيهم خارجة عن إرادتهم هو نوع من الظلم الجماعي الذي يمارسه المجتمع ضد طائفة لا تتجزأ منه ـ سواء شاء أم أبى ...

ظلم تناقله المجتمع كابراً عن كابر فاصبح ثقافة مترسخة تنمو عليها الناشئة ...

كلنا نعرف الهامش ذلك الحيز الفارغ من الورقة الذي نتركه عند الكتابة أو الطباعة، فلو شبهنا المجتمع بالورقة سيكون هؤلاء المحرمون قابعين على هذا الهامش الذي نحاذر الكتابة (العيش) فيه أو الاختلاط به، فتتكون العشوائيات وبيوت الصفيح المتكدسة التي تفتقر لأدنى خدمات الحياة الأساسية...

فهل ترضى عزيزي القارئ أن تعيش على الهامش ؟

ولو كبرنا صورة التهميش التي تحصل لهؤلاء إلى صورة أكبر سنرى الدول النامية ـ ومنها دولنا العربية خصوصاً ـ قابعة على

هامش الحياة المعاصرة وليست في نظر الدول الكبرى سوى (منجم) المواد الخام لأسياد الكوكب ...

الدول النامية ـ أو النائمة كما يحلو للبعض أن يسميها ـ دول يقدر سكانها بالملايين يعيشون على هامش الحضارة المعاصرة من دون أدنى مشاركة في صناعة المستقبل، بل لا تعرف هذه الملايين ماذا يخبئ لها المستقبل من أحداث ولا خطط لديها لتتقي من كوارث هذا المستقبل الغامض والقادم ...

***

نقوش من هذا العصر

(١)

يقدم الدكتور والمفكر المنصف المرزوقي مفهوم الاستقلال الثاني بقوله :" كيف استقلت الدولة العربية من الاستبداد الخارجي لتصبح بدورها عنصر استبداد داخلي يجعل التحرر منها بمثابة التحرر من الاستبداد الخارجي"

هذا التحرر هو الاستقلال الثاني كما يسميه....

يذكرني بقول الأستاذ البردوني :

ترقى العارُ من بيعٍ ... إلى بيعٍ بلا ثمنِ

ومن مستعمرٍ غازٍ .... إلى مستعمرٍ (وطني)

(٢)

يتحدثون عن التعايش في كل الوطن العربي، ولا يدركون أن اليمن هي أرض التعايش الحقيقي - لو أدرك أهلها المعاصرون ...

فقد عاش على أرضها منذ فجر التاريخ اليهود مع المسلمين مع النصارى ....

والتقى القحطانيون والعدنانيون في نسيج واحد ...

في وطن يبدو أنه فقد "الواو" فأصبح "طن" مشكلات !

(٣)

في بلادي :

منْ دخله حزبه فهو آمن

منْ دخل جماعته فهو آمن

منْ كان من "الشلة" فهو آمن

لنا الله يا مستقلين .....

(٤)

يا وطن وأنت حبيبي ....وأنت عزَّي وتاج رأسي

أنت يا فخر المواطن ...والمناضل والسياسي

أنت أجمل وأنت أغلى ...وأنت أعظم من الكراسي

من أغنية أنا مواطن للفنان / لطفي بوشناق .....

(٥)

رغم حلكة الظلمات المطبقة علينا ، إلا أن قلبي مفعم بالأمل في القادم، لأن الدنيا دول ....

تذكروا أن المغول حطموا بغداد في ١٢٥٨م لكنها قامت من جديد...

تذكروا أن المسلمين تناحروا في صفين، لكنهم بعدها فتحوا الدنيا.

تذكروا قوله عز وجل " وتلك الأيام نداولها بين الناس "

تذكروا فقط ، تنهضوا.....

(٦)

يمكن تحويل منشورات الفيسبوك الى فن "الإخوانيات " من شعر ونثر بين الأعضاء كما كان في العصر العباسي ...

الإخوانيات، فن من الفنون الأدبية، أداته رسائل يتبادلها الأدباء في مناسبة معينة أو لغير مناسبة ، ويتّخذون منها وسيلة لأبداء البراعة في تنخّل المفردات، وتخيّر العبارات، وإبداء ما لديهم من

مهارة بيانية واطّلاع على أسرار اللغة العربية وغريبها، ولا يتجاوز النص منها صفحات معدودة .

موضوعات الإخوانيات شتّى، وأكثر ما تتناوله المسامرات والمناظرات والأوصاف والعتاب واللغة .

وليس للإخوانيات أصول واضحة من حيث الشكل، وقد يتجاور فيها النثر والشعر، وتكثر الشواهد القرآنية، والأحاديث النبوية والتمثّل بأقوال مشاهير القدامى .

ملاحظة مهمة:

==========

الإخوانيات لا علاقة لها بحركة الإخوان المسلمين، لذا وجب التنبيه!..

***

الإعلام والإعلاميون

حضرت قبل أيام حفل تكريم إعلاميين في مدينتي الصغيرة، وهالني العدد المكرَّم من الإعلاميين الذين تجاوزوا ١٥٠ إعلامياً !

فهل كل هؤلاء إعلاميون حقاً ؟

أنا أعرف أنه في كل مهنة هناك محترفون وأدعياء، المصيبة تكمن عندما يتصدر الأدعياء المشهد على أنهم المحترفون !

وكل فكر أو مهنة يبدأ جميلاً ونقياً وينجذب الناس لصفائه مما يجعل الناس يظنون أن هذا (الأمر) هو سبب الانجذاب فينخرطون في هذا الفكر أو تلك المهنة وهنا يختلط الصالح بالرديء في الأمر...

ولو راجعت كل الأفكار عبر التاريخ سترى أنها بدأت نقية خالصة لكن سرعان ما لوثت بالأدعياء الذين انخرطوا فيها وهم ليس من أهلها، لكن الأصل يظل هو الأفضل دائماً لكن يحتاج إلى صقل

وبحث للحصول عليه تماما مثل المعادن التي تستخرج من مناجمها وتحتاج لذلك الصقل لتخليصها من شوائبها ...

لكل زمان مضى آية

أريد من إعلامينا أن يتذكروا قول أحمد شوقي :

لـكـل زمــان مـضى آيـةٌ
وآيـة هـذا الـزمان الصحفْ
لـسانُ الـبلاد ونـبض الـعباد
وكـهفُ الحقوق وحرب الجنف
تـسيرُ مسير الضحى في البلاد
، إذا الـعلمُ مزّق فيها السدف
وتـمـشي تُـعلمُ فـي أمـةٍ
كـثير بـها لا يـخُط الألـفْ
فـيا فـتية الصحف صبراً إذا
نـبا الـرزقُ فيها بكم واختلف
فـإن الـسعادة غـيرُ الـظهور
، وغير الثراء ، وغير الترف

ولـكنـها فـي نـواحي الـضمير

إذا هـو بـاللؤم لم يكتنفْ

لكن الآية هذا العصر هم الصحفيون أنفسهم !

ونحن إذا أردنا إعلاماً حقيقياً، فيجب أن نفرّق بين الإعلامي و (الدوشان*)!

وذلك لأن الإعلام رسالة، ولن تجد في هذا الزمان إعلام محايد، بما في ذلك الإعلام الرسمي الذي هو - عادة - لسان حال النظام السياسي الحاكم، أما الإعلام الخاص فهو لسان منْ يدفع له ويموله وبالتالي لن يكون همه إلا ما يضمن بقاء التمويل !

الإعلام اليمني اليوم يشهد القنوات الخاصة التابعة للحزب س أو الحزب ص أو الطائفة الفلانية أو غيرها، وكل في فلكه يدور ويقدم بضاعته التي نعرفها جميعا، أنا لا أنتقده لكن أتمنى أن لا ينسى في هذا الأمر أنه واجهته التي يريد للناس أن يروه بها، فكلما أقترب من هموم الناس - بدون مزايدة أو متاجرة- كلما ظل في قلوبهم وعيونهم ...

* الدوشان : لفظ يطلق على المطبل الشعبي أو الذي يرفع صوته في الشارع

الإعلام الحكومي يعاني من عدة أزمات وأهمها الفساد الذي يلتهم كل إبداع فلا تتوقع منه إلا ما تتوقع من موظف يهمه أن ينهي وقت الدوام - كيفما كان - المهم توقيع الانصراف !

***

في ذكرى الإسراء والمعراج

(١)

تأتي ذكرى الإسراء والمعراج كل عام ونحن نعيد الاحتفال بها مثل كل عام لا جديد تحت الشمس إلا سوء أوضاع المسلمين في أرجاء المعمورة !

وما أدري ما الفائدة من احتفالنا من ذكرى الإسراء والمعراج وإقامة الموالد والمحاضرات حول تلك المعجزة العظيمة والمسجد الأقصى -أحد مواضع هذه الرحلة العظيمة - لا يزال في قبضة اسرائيل حتى اليوم ؟

(٢)

على ذكر إسرائيل أمس الأربعاء يوافق الذكرى الـ٤٦ لنكسة ٥ يونيو عام ١٩٦٧م واليوم ذكرى الإسراء والمعراج ....

والتاريخ يخبرنا أن صلاح الدين الأيوبي بعد انتصاره في معركة حطين ٤يوليو عام ١١٨٧م كان دخوله القدس يوم ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ أي في نفس ذكرى الاسراء والمعراج، لكن شتان بين حال المسجد الأقصى في تلك الايام وهذه الأيام ..

إنه المسجد الأقصى الذي يصرّ الإعلام العربي على الخلط بينه وبين مسجد قبة الصخرة حيث يقدّم الثاني للمشاهد العربي على أنه المسجد الأقصى !

مع العلم ان مسجد قبة الصخرة بُني بأمر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان خلال الفترة ٦٨٨م - ٦٩٢م فوق صخرة المعراج، في حين المسجد الأقصى قبله بمئات السنوات ..

(٣)

كثير منْ نراهم يحاولون أن يقدّموا هذا المعجزة الخالدة بثوب العلم الحديث لكي يثبتوا (السبق) العلمي للقرآن الكريم أو إعجازه العلمي !

ألا يدرون أن هذا يضر أكثر ما ينفع، لأن معجزة الاسراء والمعراج ستظل معجزة خالدة حتى قيام الساعة وأي تكييف لها باسم العلم يخرجها عن نطاق المعجزة !

(٤)

تمثلت عظمة معجزة الإسراء والمعراج في عدة أمور عظيمة منها:

١ـ عظمة المسرى به وهو النبي صلى الله عليه وسلم

٢ـ عظمة الذين صلى بهم وألتقى بهم في السماوات وهم الانبياء عليهم السلام

٣ـ عظمة رفيق الرحلة وهو جبريل عليه السلام أمين الوحي

٤ـ عظمة الأماكن التي كانت محطات الرحلة وهي المسجد الحرام والمسجد الأقصى وسدرة المنتهى التي لم يصل إليها قبل النبي عليه السلام لا نبي مرسل ولا مَلَك مقرَّب

٥ـ عظمة الفرض الذي فرضه الله سبحانه وتعالى على محمد عليه السلام وأمته وهو فرض الصلاة الذي لا يسقط لا في سفر ولا حضر

٦ـ عظمة المشاهد التي رآها النبي الكريم في تلك الرحلة المباركة

كل هذه الأمور العظيمة وغيرها ألا تستحق التأمل ؟

(٥)

وأخيراً :

لم تنبي أبداً ...لم تنبي

صيحاتُ الفتح العربي

في تحريركَ يا أقصى

فصلاحُ الدين الأيوبي

ممنوعٌ أن يلجَ الأقصى

لكن مسموحٌ للـ (لنبي)

يا أقصانا

منْ ذا عن حبكَ أقصانا ؟

ورمانا في غي هوانا ؟

فنسينا القدس ورام الله

ونسينا التاريخ العربي

فالأقصى في أقصى منطقةٍ

من خارطة الحب العربي

***

عندما نلعب الكرة !

(١)

جميل أن نهتم بالرياضة عموما وكرة القدم خاصة، لكن الأجمل أن نكون رياضيين حقيقيين نتحلى بالروح الرياضية في كل شؤون حياتنا المختلفة، فالمباريات الكروية التي تشد الناس هذه الأيام لا تنسينا الاهتمام بشؤون حياتنا المعاصرة ..

أقولا لا ننسى في خضم خليجي ٢١ ما يحدث في سوريا ..

ولا ننسى في خضم الدوري الأوربي – الذي لا أعرف متى تتم مبارياته حقيقة – ما يحدث في بلادنا، فلا تكون المباريات أداة للهروب من الواقع الذي نعيشه، فلا ننسى العالم من حولنا في كل مباراة تجري هنا أو هناك لأن المعارك السياسية ما هي إلا (مباراة) من نوع مختلف!

(٢)

الانشداد الذي تقدمه المباريات الكروية هذه الأيام أراها ظاهرة صحية وليست سيئة عموما، لكن السوء الذي فيها هو هذا التفرغ

الكامل الذي أعلنه البعض من أجل المباريات، لكن الحمد لله خليجي ٢١ سينتهي قريباً..

(٣)

الأمة التي تحسن في أي شيء تحسن حتى في الرياضة، ومن يفشل في الحياة يفشل حتى في الرياضة أليس هذا ما نعانيه؟

فنحن ولله الحمد فاشلون حتى في كرة القدم ولعل أداءنا الأخير في خليجي ٢١ لا يحتاج الى أي تعليق...

(٤)

لست رياضيا ولكنني رياضياتي ، وربما كانت هناك قرابة من نوع ما بين الرياضي والرياضياتي (المهتم بالرياضيات) حيث نقول عالم رياضي ونقصد عالم رياضيات وليس عالم رياضة !

لكن هذه الصلة لم تصل إلى ناشئتنا الذين يقتربون من الرياضة لكنهم يفرون من الرياضيات فرارهم من الأسد؟!

ولو أدرك هؤلاء الناشئة فائدة الرياضيات لما فروا منها لكن ظروف كثيرة تكالبت عليهم فكان الحال كما نراه .

(٤)

تحضرني بعض أبيات للأستاذ عبدالله البردوني وهو يقول :

نحن أحفاد عنترة نحن أولاد حيدره
كلُّنا نسل خالدٍ والسيوف المشهّره
يعربيون إنما أمُّتنا اليوم (لندره)
أمراءٌ، وفوقَنا عين (ريجن) مُؤمَّرة
وسكاكيننا على أعين الشعب مُخبره
نحن للمعتدي يدٌ وعلى الشعب مجزره
كلُّنا سادة الرماح والفتوح المعطَّرة
كل ثقبٍ لنا بِهِ خِبرة الدِّيك (بالذرة)
في الملاهي لنا الأمام في الحروب المؤخِّرة
حين (صهيون) يعتدي يصبح الكل مقبره
نحن في اللَّهو أقوياءٌ وفي الحروب مسخره
إننا أجبن الورى عندما الحرب مُسعَره
نَحن أبطال يعربٍ عندما نلعب (الكره)
ونُمورٌ على الضباء وعلى الصَّقر (قُبَّره)

نحن في الهزل وثبةٌ نحن في الجِدِّ قهقره

* * *

سيفنا الشيِّك وحدهُ والسياسات حميره
نبذل (القدس) منحةٌ نرتدي سوق (أسمره)
ولكي ندَّعي، لنا في الإذاعات زمجره
نكتري ألف كاتبٍ نصف مليون حنجرة
هكذا أُمَّة العُلى مِن عُلاها مُطَهَّرَة

***

الإنسان والأديان

الحديث عن الدين اليوم يكاد يكون اشبه بالمرور في أرض مزروعة بالألغام !

وليس غريباً في زمان أدعت كل جماعة وصايتها على الدين، وكأنه ماركة مسجلة باسمها ..

والعجيب أن كل جماعة أخذت تتبرعم إلى جماعات جديدة في متسلسلة هندسية لا تفرز إلا المزيد من العنف والرفض للمجتمع..

نتفق جميعاً أن الدين الإسلامي بريء كل البراءة من هذا الذي يجري في هذا الزمان باسمه ، لكن من يقنع الناس بذلك الذين أخذوا يحملون الدين وزر كل هذا العنف الذي تمارسه هذه الجماعة أو تلك ...

والسبب الذي جعل الدين مجرد "ديكور" للجميع هو أن العبادات التي جاء بها تحولت إلى " عادات " روتينية بحيث فقدت أثرها في المسلم اليوم ..

وأصبح القرآن بيان نعي لا نفتحه إلا على الأموات ولا يستفيد منه الأحياء الذين لو قرأوه فلن يقرأوا إلا آيات الجهاد - على مرادهم - وقلبوها آيات قتال داخل بلداننا العربية وضد المسلمين أنفسهم !

وليست القصة بكثرة القراءة فكم يقرأ المسلمون سورة الكهف ؟ إنهم يقرأونها في السنة ٤٨ مرة "على اعتبار قراءة في يوم الجمعة فقط"

ومع ذلك لم يستخرجوا من آيات هذه السورة العظيمة عبرة - ولو واحدة- لحياتهم المعاصرة ؟!

أما النوعية، فما يجري لدينا يخبرك بوضوح عن نوعية القراءة !

جاء في تفسير ابن كثير - سورة المائدة الآية ٦٦: " ذكر النبي شيئاً فقال: وذاك عند ذهاب العلم. قلنا يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونُقرئه أبناءنا، وأبناؤنا يُقرئونه أبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال: ثكلتك أمك يا بن لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء" ..

اليوم نحن ماذا نستفيد من قراءة القرآن الكريم ؟

قال الحسن البصري: أنزل القرآن ليُعملَ به فاتخذ الناس تلاوته عملا....

ونحن اتخذنا البحث عن إعجازه عملا....

آلية التعامل مع القرآن الكريم يجب أن تغادر "التملي" بـألفاظه إلى منهج حياة "عملية" تمس حياتنا العصرية ...

إن الوقوف أمام الشعائر الدينية أو النصوص الدينية مثل الوقوف أمام آثار متحف قديم هو من جمّد اثر الدين في مجتمعاتنا العربية المعاصرة ، فأصبحنا لا جاهليين ولا إسلاميين!

وأصبح لسان حال الناس للجماعات الدينية في بلداننا العربية :

ليتهم يتوقفون عن الحديث عن الدين ....

ليتهم يتحدثون ماذا أنجزوا في الدنيا...

ليتهم يدركوا أنهم بشر يخطئون ، وليسوا آلهة يمنحون الناس صكوكاً للغفران .....

أخيراً :

الإنسان أولا

الإنسان قبل الأديان

لأن الأديان جاءت لخير الإنسان، ولم يأتِ الإنسان من أجل الأديان!

***

ماذا وراء نهاية التاريخ؟

عرفنا مصطلح (نهاية التاريخ) من كتاب المفكر الأمريكي فرانسيس فوكاياما الذي صدر عام١٩٨٩م؛ حيث يرى أن نهاية التاريخ هي انتصار اللبرالية وتمكن النموذج الأمريكي، لكن المفكر المصري الراحل عبدالوهاب المسيري كان قد طرح فكرة نهاية التاريخ بنمط آخر في كتابه (نهاية التاريخ بنية الفكر الصهيوني) الذي صدر عام١٩٧٢م؛ حيث يرى أن نهاية التاريخ هي انتصار للفاشية، فمنْ يعلن نهاية التاريخ يعلن نهاية التاريخ الإنساني وبداية التاريخ الطبيعي أي يتحول الإنسان إلى كائن بيولوجي خاضع للحتميات المادية .

ويستهجن الكاتب د/خالص جلبي مصطلح نهاية التاريخ رادا عليه بمقال تحت عنوان (نهاية الجغرافيا)؛ حيث يرى أن الجغرافيا هي التي في طريقها إلى النهاية في ظل ثورة التكنولوجيا والمعلوماتية الحديثة وأساليب التواصل العملاقة وليس التاريخ.

أرى أن لا نهاية للتاريخ؛ فلن يسود فكر في نهاية المطاف، فالسنة الكونية أن الحضارات تبدأ ثم تسيطر ثم تضمحل، فلا حضارة ظلت على مدى التاريخ لينتهي مطاف الناس عندها ولا يغادرون نموذجها، والقران الكريم يخبرنا أن الأيام دول " {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ } [آل عمران : ١٤٠] " إلى جانب سنة التدافع في قوله تعالى (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ [البقرة :٢٥١]، وسنة التدافع الكونية هي صمام الأمان لبقاء الحضارات ليس في تصارع لتتفوق واحدة بعينها على الأخريات بل في (توازن) يحفظ للجميع بقاءه من الذوبان والتماهي في حضارة أخرى، بل الكل على الساحة كل بعطائه وتميزه فالكل في (منتدى حضارات) وليس (صراع حضارات) لينتهي التاريخ عند النموذج الغالب.

نهاية تاريخ اليمن

العالَم من حولنا يناضل للحفاظ على وجوده الحضاري وتميزه ونحن في اليمن نسمع (دعاوى) عدم الرغبة في وجود

متخصصين لتدريس مادتي التاريخ والجغرافيا، تخيلوا شعب بلا أدنى معرفة بالتاريخ ولا الجغرافيا ؟!

يعيش الإنسان ضمن بعدين واضحين له هما الزمان (والذي يمثله التاريخ) والمكان (والذي تمثله الجغرافيا) وكلا البعدين في تلاحم عميق؛ فلا تاريخ بلا جغرافيا يسير مجسدا عليها ولا جغرافيا بلا تاريخ يوثق جذور تلك البقعة، وكل العطاءات السياسية والاجتماعية بل الجهد البشري كله يصب في هذين البعدين الذين لا انفكاك عنهما ؟!

إن شعب بلا تاريخ كانسان بلا ذاكرة، أما شعب بلا جغرافيا تحدد ملامحه فهو هلام لا حدود له، فكيف بكلا الأمرين معاً ؟

ولا ننسى أن جهود توثيق التاريخ اليمني لا تزال متواضعة رغم ما بذله ويبذله المتخصصون في إبراز وثائقه ومخطوطاته وتدوين آثاره، الأمر الذي يتطلب مضاعفة تلك الجهود إلى أقصى حدود الطاقة لا وأدها بمثل هذه الدعاوى!

يمكننا أن نستورد مَنْ يعلّمنا الكيمياء أو الفيزياء أو استخدام التكنولوجيا الحديثة، لكن هل نطلب استيراد مَنْ يوثّق لنا جذورنا ويعيد ترتيب ذاكرتنا ؟!

ولنذكر قول أمير الشعراء احمد شوقي ـ رحمه الله :

مثل القوم نسوا تاريخهم... كلقيط عيّ في الناس انتسابا

أو كمغلوب على ذاكرة... يشتكي من صلة الماضي انقضابا

فهل يريدون منا أن نكون لقطاء ؟!

***

ماذا عن اليوم العالمي للرجل؟

لا أقصد الاساءة للمرأة ـ حاشا لله ـ وكيف لي ذلك و صوت ينادي بي ـ وبكل رجل في هذه الدنيا ـ يقول كيف لك أن تتكبر على المرأة، أليس أول منْ استقبلك في هذ الدنيا هي امرأة ...أمك ؟

وأول أنسان خفق قلبك له في حب عذري في مرحلة مراهقتك ألم تكن امرأة....حبيبتك ؟

والتي اخترها لتكون شريكة حياتك ألم تكن امرأة ....زوجتك؟

وابنتك بعد ذلك أليست هي الأخرى امرأة ؟

ونفس الحال ينطبق على كل ارحامك بعد ذلك من اختك وعمتك وخالتك وجدتك وحفيدك وهلم جر...

كل هؤلاء النسوة تحيط بك أيها الرجل، وبعد ذلك لا تريد أن تحتفي باليوم العالمي للمرأة ؟!

أنا هنا أتساءل عن اليوم العالمي للرجل !

أليس له هو الآخر يوم عالمي ؟ مساواة للمرأة التي تتظلم باسم عدم المساواة أسوة بأخيها الرجل ؟!

أم أن المقصود شيئاً آخر؟

سيقول قائل تفوح من كلماتك نظرية المؤامرة ؟!

أقول لنطرح نظرية المؤامرة جانباً ونسأل سؤال بسيط: لماذا المرأة بالذات؟ وليس الرجل والمرأة معاً ؟

بحكم أنهما الاثنان يكوّنان المجتمع سوية ؟

ومنْ هؤلاء الذين يحتفون بالمرأة؟

الغرب...الذين جعلوا من المرأة (سلعة) متداولة في إعلاناتهم، ناهيك عن حوادث انتهاك إنسانية المرأة عندهم ؟

أليس على اليهودي أن يتلو ثلاث تسبيحات شكر كل يوم لأن الإله خلقه يهودياً، ولأنه لم يخلقه امرأةً ؟!

في فرنسا عام ٥٨٦م عقد مجمع (باكون) لبحث: هل تعد المرأة إنسانا أم غير إنسان ؟

وهل لها روح أم ليس لها روح ؟ وإذا كان لها روح ! فهل هي روح حيوانية أم روح إنسانية ؟ وإذا كانت روحا إنسانيا ، فهل هي على مستوى روح الرجل أم أدنى منها ؟

وأخيرا: قرروا أنها إنسان، ولكنها خلقت لخدمة الرجل فحسب وأنها خالية من الروح الناجية، التي تنجيها من جهنم، وليس هناك استثناء بين جميع بنات حواء من هذه الوصمة إلا مريم !

المرأة في الغرب لم تحظَ بمكانتها ومشاركتها في الحياة العامة إلا منذ عهد قريب ، وهي مشاركة لم تحفظ لها مكانتها بل جعلت منها نداً لرجل حتى في تحمل المشاق ..

فهل الحرية الغربية حفظت للمرأة هناك إنسانيتها ؟

ولكي أدلل لقارئي الكريم على ما أقول أدعوه أن يذهب إلى السوق وليشتري أي منتج سيجد صورة المرأة على غلافه ، مهما كان ذلك المنتج تافهاً ...

فقولوا لي بالله عليكم هل هذا امتهان أم تكريم ؟

أنا لا أنكر هنا أن المرأة في الغرب تبوأت مناصباً عالية فأصبحت رئيسة وزراء (ميركل) ووزيرة (كلينتون) وغيرها من المناصب

التي تقف (اجتهادات) فقهائنا القدامى والمحدثين حاجزاً دون بلوغ النساء عندنا هذه المناصب ؟!

لكن هل هذا التكريم للمرأة في يومها العالمي لوجه الله ؟

وتخصيص يوم لذلك، هل هو الآخر لوجه الله ؟

تماماً يشابه هذا اليوم مثل يوم عيد الحب وعيد الأم ...الخ

وكل هذه المناسبات التي لا أختلف في المضامين السامية التي تحملها هذه (الأعياد)، فمنْ يختلف في مضمون الحب السامي، ومكانة الأم العظمى ؟

لكني مع منْ يقول لكن الشيطان يكمن في التفاصيل ..

الواجهة برّاقة لكن المقاصد لا تنم عن خير، خصوصاً أن نموذج المرأة التي يقدمونها لكي تحتذي نسوتنا بها هي نماذج مفصلة على النموذج الغربي، ولعل في المسلسلات المدبلجة من هذه النماذج خير مثال ..

أنا لن أكون متنطعاً ولا متحيزاً لكي أقول أن النموذج الذي أريده يجب أن يكون شرقياً أو عربياً أو إسلامياً، لكني أريد نموذجاً إنسانياً فاضلاً ورشيداً ..

لو قدّموا لنا نماذج من أمثال هيلين كيلر أو مدام كوري أو أضرابهما لقلنا خيراً ...

نحن لدينا نسوة يصلحن أن يكنّ نماذج لبناتنا ينفع التذكير بهن في هذا المقام في ظل مناسبة أصبحت مفروضة علينا الالتحاق بركبها في ظل حضارة اليوم ..

أقدّم الملكة بلقيس وأروى، والدكتورة / إقبال دعقان- عالِمة الكيمياء ولا أنسى هنا من الرائدات اليمنيات / فاطمة العاقل ، وغيرهنّ الكثير ...

بل إن في البيوت اليمنية من النساء الفاضلات أمهات يقمن على تربية الجيل وتنشئته على قيم المجتمع التي تمثل هويته ، في زمن فقدت كثير من المدارس قدرتها على التربية والتعليم في آن واحد ؟!

فكم من إم تقوم بواجبها الاسري تجاه أولادها وزوجها وتتحمل مشاق الحياة المعاصرة بظروفها الاقتصادية المتدهورة في صمت ومثابرة دون أن تبس ببنت شفة من تذمر أو سأم ..

مثل هؤلاء النسوة هن منْ يُحتفى بهن ليس في يوم المرأة العالمي، بل في كل أيام حياتنا التي أضفت عليهن مثل أولئك النسوة ظلالاً وارفاً من المحبة والحنان ..

والحكمة القائلة أن وراء كل رجل عظيم امرأة، أعتقد أنها ناقصة فلا بد أن تكون تلك المرأة هي عظيمة في ذاتها حتى يكون الرجل الذي تصنعه عظيماً، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ...

والله أعلم

***

التغيير والمجتمع

كثر الحديث عن التغيير وآلياته في الفترة الأخيرة خصوصا بعد الاحداث التي مرت بها بعض من دولنا العربية بما عُرف بالربيع العربي ..

فهل التغيير مجرد عملية تحول في الأوضاع السياسية لدولة معينة ؟ أم أن الأمر أعمق من ذلك ؟

لعل التغيير السياسي هو المحك الذي يؤثر على أي تغيير مجتمعي، وذلك أن التغيير السياسي هو البوابة التي يدخل منها المجتمع إلى التغيير الشامل للمجتمع لأن المجتمعات تتطبع بالشكل السياسي الحاكم لها، لكنه ليس تأثير من طرف واحد بل بشكل تبادلي ، فالمجتمع هو الآخر مؤثر على الطبقة السياسية بما يحمله من إرث ثقافي وحضاري لأن تلك الطبقة السياسية لم تأتِ من الفضاء الخارجي على متن طبق طائر، بل جاءت من ذلك المجتمع الذي تحكمه ..

فتحدث دوافع التغيير عندما تنفصل هذه الصلة بين المجتمع وطبقته السياسية كما يقول عالم الاجتماع (بورك):"إن الدولة التي لا تملك الوسائل لمسايرة التغيرات الاجتماعية لا تستطيع أن تحتفظ ببقائها"

ولعل الدافع هنا هو الاستبداد ...

لكن هل كل استبداد يقود إلى تغيير في المجتمع ؟

يقول عبدالرحمن الكوكبي في كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) "الأمَّة التي لا يشعر كلُّها أو أكثرها بآلام الاستبداد لا تستحقُّ الحريّة."

وبالتالي لن تفكر بالتغيير ، بل تستمرئ هذا الاستبداد ...

لأن التغيير الحقيقي يكون بقدر ما تمتلكه الشعوب من إرادة حقيقية للحياة الكريمة ، فكيف إذا كانت تلك الإرادة منزوعة ؟!

يحلل ذلك د خالص جلبي بقوله :" وعندما يقرر القرآن أن (تغيير) الإنسان ممكن بيد (الإنسان) فهو لا يشير إلى الظروف المادية بل الأوضاع (النفسية)، ولكن هذا يتطلب جراحة معقدة أكثر من الجراحة العصبية للدخول إلى طبقة (الوعي)

و(اللاوعي)، فأما الوعي فالدخول عليه بالأفكار أما طبقة اللاوعي فهي مكان خزان العواطف والخبرات والعادات والمواقف الأخلاقية وهي تشكل ٩٥% من كياننا النفسي، وتغيير اللاوعي ليس بهذه السهولة، فكيف يمكن أن يغير الناس شيئاً لا يشعرون به ؟ "

وتيرة التغيير الإجتماعي

يجب أن نعرف أن التغيير المطلوب هو فعل مجتمعي يضبطه إيقاع المجتمع الرتيب أو السريع بقدر الآليات التي يعمل بها المجتمع المستهدف بهذا التغيير، فلا نطلب من التغيير أن يكون عصا سحرية تصنع المستحيل بسرعة في مجتمع يعمل بآليات تكبح من حركته التغييرية...

وسريان التغيير بوتيرة سريعة في مجتمع آلياته " متقبلِة" لهذا التغيير القادم كأن يكون المجتمع على درجة عالية من الوعي السياسي والثقافي بحقوقه وواجباته ـ على الأقل ...

ويمكننا تشبيه آليات المجتمع بأسلاك الكهرباء ونشبه التغيير بالتيار الكهربائي، فالأسلاك الجيدة يسري فيها التيار الكهربائي بسلاسة ودون عقبات ، في حين الأسلاك الرديئة تكون سيئة التوصيل لهذا التغيير الذي قد لا يصل أو يتأخر وصوله ....

وهو تغيير ليس ما يريده الحزب "س" أو الجماعة "ص" ،لأنهم لا يمثلون المجتمع بكل أطيافه ، بل ما يقوله " العقل الجمعي" للأمة كلها الذين لن يتوافقوا على خطأ..

كذلك يجب أن تكون "الجموع " الطالبة للتغيير لديها الإيمان بهذا التغيير وليس لديها الفعل فقط ، تريد التغيير من داخل نفسها ليس كرهاً لذاك الحاكم الذي لم يوافق هواها أو لمصلحة " محصورة " على جماعة بعينها أو للتخلص من " شلة " بذاتها ، بل يكون التغيير لمصلحة " الأمة " بكلها بما فيهم ذاك "الفصيل" الذي خرج الناس ضدهم ، لأنهم في نهاية المطاف جزء من الأمة يجب أن يمسهم التغيير حتى هم ...وليس "استبدال" ناس بآخرين ...

هذا هو التغيير إذا أردنا حقا ..

أما آليات التغيير فلتكن بثورة أو بدونها ،التغيير هدف والثورة وسيلة ، فلا ننشغل بالتنظير للوسيلة وننسى الهدف.

بين التغيير السياسي و الإجتماعي

نجد بعد أي حركة تغييرية أن التغيير الثقافي بطيء ولا يكون متساوقاً مع التغيير السياسي في وتيرة الحركة ، يشرح ذلك د عبدالإله بلقزيز بقوله :" إن زمن التطور في السياسة والاقتصاد غير زمن التطور في الثقافة والاجتماع، الزمن الأول زمن وقائعي، أو هو محكوم بزمنية الوقائع، أما الثاني فزمنٌ ثقافي، أي يتعلق بمنطق التطور الطويل الأمد الذي تقطعه الأفكار والقيم كي تتبدل أو تتغير أو تتحول . وبين الزمنين تفاوت في التطور لأن الزمن المادي، الذي تخضع له العلاقات السياسية والاقتصادية، أسرع إيقاعاً من الزمن الثقافي (الثقافة هنا مأخوذة بمعناها الأنثروبولوجي الأوسع)، ثم لأن قابلية البنى السياسية والاقتصادية للتحول والتغير أعلى من قابلية البنى الثقافية - الفكرية والاجتماعية."

وأخيراً لا ننسى أن التغيير عملية داخلية أكثر من كونها عملية خارجية، فالمولى عز وجل يقول (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد : ١١]

***

رسالة إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم*

يا حبيبي يا رسول الله ..

يا خير الخلق أجمعين ..

يا من أرسلك الله رحمة للعالمين ..

يا أبا القاسم عليك أفضل الصلاة والسلام ..

لا أدري من أين أبدأ رسالتي إليك ؟!

فأنا مواطن بسيط من أمتك التي بلغ تعدادها المليار ..

مواطن بسيط كتب الله لي أن أولد في هذا الزمان الأغبر ..

يا سيدي يا رسول الله -عليك الصلاة والسلام -

---

* كُتب هذا المقال بعد الحادث الإجرامي الذي حدث في مدينة إب يوم ٣١ ديسمبر ٢٠١٤م؛ عندما وقع انفجار في قاعة المركز الثقافي أثناء الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف لعام ١٤٣٦هـ وراح ضحيته العشرات !

كثيرون مثلي ولدوا في هذا العصر الذي حدثتنا عنه ـ كما نقلت كتب الحديث ـ أنه عصر الفتن .

أكتب لك هذه الرسالة بمناسبة ذكرى مجيئك إلى الدنيا ،

فاليوم ذكرى ميلادك الأغر ..

اليوم يحتفل المسلمون بهذا اليوم الجميل ..

لكن مدينتي التي أنا فيها أصابها قبل يومين حادث جلل ،

حادث جرى في قاعة من قاعاتها كان يقام فيها مراسيم احتفالية بيوم ميلادك يا سيدي يا رسول الله،

وأندس في الجمع "مسلم" تمت تعبئته أفكارًا ترى أن قتل الحاضرين هو تقرّب إلى الجنة ونعيمها !

أعلم يا حبيبي يا رسول الله أنك لم تأتِ بهذه الأفكار ولا تمت إليك بصلة البتة..

لكنني في هذا العصر أعيش في خضم هذه الأفكار، بل وأسوأ منها..

فقتل هذا المندس أكثر من ٣٠ مسلمًا كانوا آمنين يحتفلون !

سيدي يا رسول الله عليك أفضل الصلاة والسلام ..

اليوم المسلمون يضرب بعضهم رقاب بعض..

وأصبح المسلم يخاف المسلم !

وكل واحد منهم يقول أنه ينصر دينك الذي جئت به، بل ويتقرّب إلى الله بقتل أخيه المسلم !

قد تستغرب يا حبيبي يا رسول الله لذلك ..

لكن هكذا أصبح إسلام "بعض" أهل هذا العصر الذي شخصي البسيط يعيش فيه ..

لقد صرنا طوائفًا وفرقًا كما حذرّتْ..

يا أمام المتقين ..

لكن البسطاء الذين لا ينتمون لهذه الفرق ظلوا على ما جئت به ،

لا يحملون في قلوبهم حقدًا على أحد..

متواضعون ..

لا يريدون لقاء محبتهن للناس جزاءً ولا شكورًا ..

لكنهم هم من يُقتلون في ظل تقاتل أصحاب الفرق على أهوائهم !

أدري يا حبيبي أنك تركتنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك

فهل ترانا هلكنا ؟

سيدي يا رسول الله عليك أفضل الصلاة وأتم التسليم ..

مدينتي اليوم غارقة في السواد الذي ملأ القلوب ، رغم الرايات الخضراء التي زينت شوارعها ..

والمسلمون اليوم أحوج ما يحتاجون إلى هديك ..

لكن الكل يقول أنه يتبع هذا "الهدي" ويدلل على ذلك من نصوص القرآن الكريم أو الحديث ..

لقد حوّل الناس وبدلوا ..

ومن أجل الدنيا لووا أعناق النصوص ،

لكني على اطمئنان أن الحق منتصرٌ، كما انتصرتَ على خصومك..

لقد انتصرت عليهم بالحق لا بالعنف..

لقد كنتَ تناهضهم وأنت مشفقٌ عليهم ..

لا كارهاً لهم ..

سيدي يا رسول الله عليك أفضل الصلاة وأتم التسليم ..

هنيئًا لنا يوم مولدك

و سلام عليك يوم ولدتَ..

ويوم لحقت بالرفيق الأعلى ..

ويوم تُبعث حيًا ..

سلام عليك يا خير الخلق،

وأزكى التسليم عليك وعلى آلك الأطهار وصحابتك الأبرار .

***

معاناة بلون البنفسج

المبدعون في هذا البلد كثير، لكن لا نرى يطفو على السطح الا منْ واتته الظروف منهم من الذين استطاعوا ان يمدوا علاقة مع وسائل الإعلام ، وهذه العلاقة تكون نتاج صدفة عابرة في مجلس (قات) أو في توصية محب أو معجب لهذا المبدع أو ذاك..

فالاهتمام بالمبدعين في بلادنا ليس ثقافة تتمثلها المؤسسات الثقافية أو منْ لهم اليد بالاهتمام بالمدعين، وهذا الامر لا يُستغرب في بلد أضاع نوابغه القدامى والجدد؟!

فنحن عادة لا نسمع عن هذا المبدع إلا إذا سطع نجمه في دولة أخرى شارك في مسابقة أو محفل أقيم على أراضيها أو بعد وفاته إذا أراد محبوه أن يذكروا فقيدهم ..

فكم من مبدعينا لم يحظوا بتكريم يليق بهم وبقاماتهم السامقة في كل المجالات وظل هذا التجاهل حتى رحيلهم والأسماء كثيرة.

أنا لا أقول أن يتم تكريم المبدعين لأنهم جاءوا من كوكب آخر أو لأن لهم قداسة أو غير ذلك، بل نريد من الدولة أو المؤسسات

الثقافية أن تضمن لهؤلاء المبدعين حياة كريمة تمكنهم من الاستمرار في عطاءاتهم الابداعية، مع أن الحياة الكريمة هي مطلب لكل الناس سواء كانوا مبدعين أو غير ذلك.

كل هذا الكلام أسوقه وانا أتابع التجاهل الذي يحدث حيال تدهور صحة الفنان التشكيلي المبدع / عبدالجبار نعمان، هذا المبدع الانسان الذي لم يُلتفت اليه من الذين بيدهم القرار في سفرية إلى دولة أخرى لتلقي العلاج من آلامه ...ألا يستحق هذا الرجل من دولته ذلك ؟

ألا يستحق عبدالجبار نعمان الذي رفع اسم اليمن عاليا في كل المحافل الدولية التي عرض فيها لوحاته الابداعية ؟

تلك اللوحات التي تزين جدران منظمة الامم المتحدة (جدارية الحرب والسلام) والمباني الحكومية من القصر الجمهوري إلى البنك المركزي مرورا بوزارة الخارجية والثقافة وغيرها ..

وما هي موضوعات لوحاته ؟ إنها اليمن في أدق تفاصيلها ..الانسان والمعمار والحضارة والعادات والتقاليد ..

عبدالجبار نعمان ذلك الانسان البسيط والفنان المبدع الذي صبغ اليمن بلون البنفسج ـ لون العظمة ـ في عشق متواصل مع هذه الارض التي يقول عنها " لم أعشق في حياتي شيئا أكثر من عشقي حركة سوق صنعاء. "

ألا يستحق لفتة منا في مرضه الذي يمر به ؟

إن لوحات هذا الفنان المبدع ستظل شاخصة أمام أعيننا جميعا ـ خاصة مسؤولينا ـ وكأنها رسالة عتاب إلى كل منْ قصر أو تهاون ـ وبيده القدرة ـ في مد يد العون لهذا الرجل ..

فيا كل مسؤول في هذا البلد الذي ضمّنه عبدالجبار نعمان في لوحة من لوحاته، كن مسؤولاً عن هذا المبدع..

ويا كل مؤسسة ثقافية أين هم الثقافة والابداع عندك تجاه هذا المبدع ؟

ويا كل متذوق للفن والابداع في لوحات هذا الفنان، ألا ترجمت هذا التذوق إلى مطالبة ومناشدة لأجل هذا الفنان ؟

إننا بصمتنا وتقصيرنا نقول لكل مبدع فينا أو مشروع مبدع، لا تبدع ولا تفكر في الابداع ولا تكن كذلك فمنْ قدّر قيمة المبدعين الذين سبقوك لكي يقدروك أنت ؟

واخيراً أختتم بجزء من كلمة الاستاذ خالد الرويشان - وزير الثقافة الأسبق - التي ألقاها في حفل تكريم الفنان عبدالجبار نعمان عام ٢٠٠٦م

" عبدالجبار نعمان سماءٌ من البنفسج.. أم جراح تغنّي؟
ترى.. منْ اسال رمانة قلبك؟

منْ كسر زجاجة روحك فسالت لوعتنا وثملت جفوننا؟
منْ فتق برعم صبابتك؟
وسكب وجد أقحوانك؟
وهتك استار نأيك؟
هذا بركان عاطفتك، فما كذب اللون
وهذه أطياف هديلك فما كذب الحلم
فسلامٌ على رفيف ضوئك
ورفرفات لونك
سلام على نأيك وقربك

أصابعك سماء

وريشتك أهداب

وإطلالتك أغنية "

***

حقبة (لا ندري) !

أين نحن ؟

بصراحة لا ندري !

الذي نعرفه أننا لم نعد نتجه إلى الهاوية..

لا.. لا، لم ننجوا كما يقول الكاتب/ فتحي أبو النصر ..

لأننا في الهاوية نفسها !

نترنح ذات اليمين وذات اليسار كما ظللنا نترنح طويلا خارج الهاوية ..

لا مشكلة من بعض (المرجيحات) في الهاوية أيضاً !

المشكلة الكبرى أننا لم نعد ندري ..

لأن الموجود الآن (دمى) تُسيرها ريموتات الكنترول من خارج الحدود،

لكنها (دمى) ليست مسالمة، بل (دمى) تأمر بالقتل وهذا مهمتها .

ربما تلك وظيفتها لكي نستقر في قعر الهاوية التي دخلناها منذ فترة.

لا تسألوني متى دخلناها ؟

لأننا في حقبة (لا ندري) !

وأعتقد أننا لم ندخلها، بل سقطنا فيها سقوط أسرع من عجلة الجاذبية الأرضية بما يخالف كل قوانين الفيزياء !

لا تستغربوا، فنحن شعب نخالف كل القوانين، فلمَ لا نخالف قوانين الفيزياء ؟!

بصراحة نحن شعب بلا قوانين ...

حتى أعراف القبيلة، تلك القوانين غير المكتوبة كما يسميها صديقي (محمد الهيصمي)، هي الأخرى نبذناها ،

القانون يكبلنا بقواعد ومتلازمات وضوابط وكثير من التعاريف والمسلمات والبراهين حتى نصل للقانون ،

وهذا متعب لنا، ونحن شعب يريد أشياء جاهزة مثل الرواتب آخر الشهر في دوام لا يقابل يوماً قياسياً واحدا !

نحن شعب لا يدري، ولا يريد أن يدري، وربما أنه لا يدري أنه لا يدري !!!

ستقولون هذا جلد للذات يكتبه مثلك وأنت ووو....الخ

أقول عن أي ذات تتحدثون في حقبة (لا ندري) التي تتوسط تاريخنا المعاصر ؟!

يتحدث د مروان الغفوري عن (الأسوأ لم يحدث بعد) فيقول: " ها نحن نعتاد على الدم اليمني، وعلى البؤس اليمني، وعلى شروط اللعبة القذرة التي تجري."

إنها لعبة لا تبقي لنا لا ذاتاً ولا كياناً، بل نصبح غنيمة لتجار الرؤوس كما كان يحدث أثناء الحرب الأهلية اللبنانية !!

يحدثنا د مصطفى محمود ـ في أحد كتبه ـعن تجار الرؤوس فيقول: " تاجر رؤوس في الحرب الأهلية اللبنانية عنده عصابة من القناصة تقتل المارة في الشوارع من على رؤوس العمارات لحساب هذه الطائفة أو تلك وفي النهاية يقبض الثمن بالدولار."

هذا هو مآلانا في حقبة (لا ندري)

شعار هذه الحقبة هو ما قاله مولانا /عبدالله البردوني ذات يوم :

فظيع جهل ما يجري... وأفظع منه أن تدري !!

***

السيرة الذاتية

المؤهلات :

المعلومات الشخصية:

الاســـم: عبدالحفيظ أحمد صالح العمري

تاريخ الميلاد: ١٩٧٥م

مكان الميلاد: تعز - اليمن

البريد الالكتروني: abdualamri.75@gmail.com أو alamri_75@yahoo.com

المدونة: http://knoweyes.blogspot.com (مدونة عيون المعرفة)

المؤهلات:

بكالوريوس في الهندسة الميكانيكية جامعة الانبار العراق عام ٢٠٠٠م + دبلوم في علوم الحاسوب من المعهد الوطني للعلوم الإدارية إب٢٠٠٨م.

الخبرات:

١/ مدرسا مادة الرسم الصناعي والفني في المعاهد المهنية منذ عام ٢٠٠٠م وحتى الآن (الوظيفة الرسمية) .

٢/ مدرسا لمادة هياكل متقطعة في جامعة العلوم والتكنولوجيا- إب منذ ٢٠١٣م وحتى الآن.

٣/ مستشاراً لمكتب الثقافة في محافظة إب لشؤون الفكر والمنتديات العلمية منذ عام٢٠١٣م وحتى الآن.

الكتابات :

١/ معدا لبرنامج تلفزيونية: (لسان عربي٢٠٠٨-٢٠٠٩-٢٠١٠) و(دلائل الإعجاز ٢٠١١).

٢/ كاتبا في صحيفة (الجمهورية) الرسمية في اليمن

٣/ نشر عدد من المقالات العلمية في الملحق العلمي لمجلة العربي الكويتية والعربي العلمي، ومواقع على النت مثل (منظمة المجتمع العلمي العربي).

المشاركات:

١/ مهرجان القصة والرواية اليمنية الرابع الذي أقامه منتدى نادي القصة اليمني (المقه) في صنعاء للفترة من٢٨/٧/٢٠٠٨م إلى٣٠/٧/٢٠٠٨م.

٢/ مهرجان الأدب اليمني الذي أقامه اتحاد الكتّاب والأدباء اليمنيين في عدن للفترة من٢٤/٥/٢٠١٠م إلى٢٧/٥/٢٠١٠م.

٣/ ألقى أكثر من ٥٠ محاضرة عامة في المنتديات الثقافية بمدينة إب (كلية العلوم جامعة إب/المركز الثقافي/منتدى الإشعاع وغيرها).

المنشورات:

*** تم نشر ١١ كتابا إلكترونيا ضمن مكتبة العبيكان الرقمية هي :**

١- عالَم الذرة.

٢- عالَم من المعادلات (ترجمة) .

٣- هل نحن وحدنا في الكون؟ (ترجمة) .

٤ـ ما هو الواقع؟ (ترجمة) .

٥ـ حكاية النسبية.

٦ـ التلوث الضوضائي.

٧ـ الزمن من العصور القديمة إلى أينشتاين (ترجمة).

٨ـ آفاق الثقافة العلمية.

٩ـ هذا زمان النانو (ترجمة) .

١٠ـ عندما تقع الذرات في الحب!.

١١ـ عالَم يتساقط .

***

ماذا يمكن أن نسمي هذا الزمان الذي نعيش فيه إلا زمان السندوتش !

أظن أنه الاسم المناسب له ، لما فيه من سرعة مثل سرعة أكل السندوتش..

فهذا عصر السرعة التي طغت فيه هذه السرعة على كل شيء في أكلنا وشربنا وطريقة حياتنا..

وانظر من حولك سترى سرعة إيقاع هذا العصر التي تدفعنا في عجالة متناهية !

هذا عصر طغت فيه الآلة الميكانيكية جاعلة منا (روبوتات) صارمة تعمل في آلية مفرطة مما يطغى على كل مشاعر إنسانية نتطلع إليها..